الانتخابات بوابة تسرب الميليشيات إلى السلطة في العراق رغم اعتراض واشنطن

ص2

ديربي تونس

الترجي لتأكيد توهجه والأفريقي لتصحيح المسار

ص11

أزمة في الإعلام السعودي عنوانها «الإعلامي المزيف»

ص5

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

السبت - الأحد 08 - 2025/11/09

17 - 18 جمادى الأولى 1447 السنة 48 العدد 13654

Saturday - Sunday 08 - 09/11/2025

48th Year, Issue 13654

www.alarab.co.uk

لبنان تحت الضغط: الحكومة تتلافى إغضاب حزب الله وإسرائيل تعاود القصف

العمليات الإسرائيلية في لبنان تجري بتنسيق مع الولايات المتحدة

الجيش يتأكد بأن إسرائيل لا تمزح: إما سلاح حزب الله أو القصف

بيروت - انتقلت التهديدات الإسرائيلية ضد حزب الله اللبناني من الضربات المتقطعة إلى مستوى جديد من التصعيد، ما يضع لبنان تحت دائرة الضغط، في وقت تعمل فيه المؤسسات السيادية في البلد (الجيش والحكومة) على تجنب إثارة غضب حزب الله والتهرب من مهمة نزع سلاحه وفق الاتفاق المبرم قبل عام.

ويرى مراقبون أن تلكؤ الجيش والحكومة في تنفيذ التزامات لبنان بموجب اتفاق وقف إطلاق النار المبرم في أواخر شهر نوفمبر من العام الماضي لإيران، ولم تخل تلك الرسائل من مضامين تفيد بأن الولايات المتحدة لن تمانع في حال اتخذت تل أبيب قرار التحرك العسكري.

والخميس شكلت الغارات الجوية الإسرائيلية على بلدات في جنوب لبنان، بعضها بعيد عن الحدود، رسالة واضحة تفيد بأن تل أبيب مستعدة لاستئناف الحرب.

ولاقت الهجمات الإسرائيلية انتقادات أممية، ممثلة في القوة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل)، حيث اعتبرتها "انتهاكات واضحة لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 1701."

وجدد الرئيس اللبناني جوزيف عون، الجمعة، التزام بلاده باتفاق وقف إطلاق النار المعلن أواخر العام 2024، مؤكدا أن إسرائيل تضاعف اعتداءاتها على الأراضي اللبنانية وتواصل احتلال التلال الخمس.

> الدولة اللبنانية تجد نفسها اليوم في وضع حرج، فهي عاجزة عن الإيفاء بتعهداتها حيال نزع كامل سلاح حزب الله

وحذرت اليونيفيل من أن "أيّ عمل عسكري، وخاصة على هذا النطاق المدمر، يهدد سلامة المدنيين ويقوض التقدم المحرز نحو حل سياسي ودبلوماسي،" ودعت القوة الأممية إلى الوقف الفوري لهذه الهجمات "وجميع انتهاكات" القرار 1701، كما حثت "الجهات الفاعلة اللبنانية" على الامتناع عن أيّ رد من شأنه أن يزيد تأجيج الأوضاع.

وتتهم تل أبيب الحكومة اللبنانية بالتقصير في القيام بدورها في التعامل مع حزب الله، لكنها تتجاهل ما يتعين عليها القيام به بموجب اتفاق وقف إطلاق النار المبرم في أواخر شهر نوفمبر من العام الماضي والذي أنهى قتالا استمر 13 شهرا على الحدود اللبنانية – الإسرائيلية.

وبموجب شروط الاتفاق يتعين على حزب الله نزع سلاحه، وعلى الطرفين التوقف عن إطلاق النار على بعضهما البعض، مع انسحاب إسرائيل من الأراضي اللبنانية، لكنها لا تزال تحتفظ بخمسة مواقع في لبنان.

وذكرت "القناة 12" العبريّة أن إسرائيل قدمت "إثباتات" للولايات المتحدة تفيد بأن "الجيش اللبناني لا يمنع إعادة تسلح حزب الله."

وبعد تهديدات وضربات شبه يومية خلال الفترة الماضية، ذكرت "القناة 12" أن إسرائيل حددت مهلة للحكومة اللبنانية لنزع سلاح حزب الله قبل أن تبدأ عملية هجومية كبيرة، إلا أنها لم تشر إلى الموعد النهائي لتلك المهلة.

وأبدت إسرائيل استعدادا "لاحتمال رد من جانب حزب الله، لكن الثمن سيكون باهظا." ونقلت هيئة البث الإسرائيلية عن مصادر في الجيش قولها إن هدف الهجمات الأخيرة على لبنان هو تفكيك سلاح حزب الله. وأضافت هيئة البث أن الهجوم على لبنان "يجري بتنسيق مع الولايات المتحدة."

وحرص المبعوثون الأميركيون إلى لبنان في الفترة الأخيرة على توجيه رسائل إلى بيروت تفيد بأن الوقت ينفد وأن على السلطة التحرك لنزع سلاح الحزب الموالي لإيران، ولم تخل تلك الرسائل من مضامين تفيد بأن الولايات المتحدة لن تمانع في حال اتخذت تل أبيب قرار التحرك العسكري.

ولم يقتصر التهديد الإسرائيلي على توجيه ضربات للمعقل الرئيسي لحزب الله في جنوب لبنان، بل امتد ليشمل بيروت. ونقلت القناة العبرية عن مصدر لم تسمّه أنه حال عدم تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار "سنشن هجمات في جميع أنحاء لبنان بما يشمل بيروت."

وسلطت صحيفة "الغارديان" البريطانية الضوء على التطورات الأخيرة، وقالت إن "الجيش الإسرائيلي يقصف لبنان بشكل شبه يومي، لكن غارات الخميس كانت غير عادية من حيث شدتها وكونها سبقتها تحذيرات بالإخلاء."

وجاء تصعيد الخميس بعد مرور ساعات قليلة على رسالة مفتوحة وجهها حزب الله إلى الرؤساء الثلاثة في لبنان تضمنت رفض الحزب القاطع لأيّ مفاوضات سياسية مع إسرائيل، أو نزع سلاحه تحت ضغط "العدو".

وهناك انقسام في صفوف العهد في لبنان بشأن خيار التفاوض مع إسرائيل، ففيما يؤكد الرئيس عون أنه ليس هناك "بديل" لاستعادة الاستقرار في لبنان يرى رئيس مجلس النواب نبيه بري (حليف حزب الله) أن التواصل الجاري مع إسرائيل عبر آلية الإشراف على وقف إطلاق النار (الميكانيزم) يكفي.

وتطالب الولايات المتحدة بمفاوضات مباشرة بين لبنان وإسرائيل لحل الملفات العالقة بينهما سواء المتعلقة بسلاح حزب الله أو ما تعلق بترسيم الحدود. وتجد الدولة اللبنانية نفسها اليوم في وضع حرج؛ فهي لا تزال عاجزة عن الإيفاء بتعهداتها حيال نزع كامل سلاح الحزب، وتخشى خيار التفاوض وما قد يثيره من ردود فعل للحزب وحليفته حركة أمل.

وأعربت الحكومة اللبنانية عن التزامها بنزع سلاح حزب الله وحصر السلاح بيد الدولة. وقالت إنها نزعت حوالي 85 في المئة من مخابئ أسلحة حزب الله في جنوب لبنان وتهدف إلى نزع السلاح بالكامل في المنطقة من دون جدول زمني واضح، ووفقا لـ"الغارديان" فإن إسرائيل تضغط على الحكومة اللبنانية للتحرك بسرعة أكبر في نزع السلاح، لكنها قالت إن القيام بذلك قد يؤدي إلى تأجيج الصراع الأهلي.

لبنان... السلاح أهم من زوال الاحتلال!

خيرالله خيرالله

ص7

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

ليبيا: آن الأوان لنبني وطنا يتسع للجميع

عدتُ إلى بنغازي بعد سنوات طويلة من الغياب، أحمل في قلبي صورة مدينة لم تخن ذاكرتي يومًا: مدينة صمود، وكرامة، ونبض وطني لا يخفت. لم تكن العودة مجرد زيارة عابرة، بل لحظة تأمل في مسار وطن، وفي تحولات مدينة كانت دائمًا في قلب الأحداث، وها هي اليوم تستقبلني بذات الروح التي عرفتها، وإن كانت ملامحها قد تغيّرت بفعل الزمن والتحديات.

في هذه الزيارة، استرجعتُ بداياتي مع صحيفة "العرب" اللندنية، التي أرأس تحريرها، والتي أسسها والدي الراحل قبل خمسين عامًا لتكون صوتًا للحرية والفكر، وجسرًا بين الوطن والمهجر. كانت الصحيفة، ولا تزال، منبرًا للحوار، ومرآة تعكس هموم العرب في الشتات، وتفتح نوافذ على قضاياهم الكبرى. واليوم، في بنغازي، شعرت بأن تلك الروح تتجدد، وأن المدينة التي احتضنت الثورة، ودفعت ثمنًا باهظًا، بدأت تستعيد نبضها، وتعيد رسم ملامح مستقبلها.

لطالما كانت العلاقة بين السياسة والإعلام علاقة عضوية، لا تنفصل. فالسياسي هو خبز الإعلام، ودماؤه تجري في سطوره. في زمن هيمنة التواصل الاجتماعي والمعلومات المضللة، يبقى الإعلام التقليدي رمزًا للعمق، وأداة للتواصل الحقيقي، لا مجرد وسيلة لنقل الأخبار.

ليبيا، منذ 2011، عاشت سنوات عجافا، انقسم فيها الوطن، وتنازعت فيه القوى، وتكاثرت التدخلات الخارجية. والمنطقة الشرقية، بقلبها بنغازي، لم تكن بمنأى عن هذه العواصف، لكنها خرجت منها أكثر صلابة، وأكثر إصرارًا على استعادة دورها الوطني. وهي في أمسّ الحاجة إلى إعلام لإيصال صوتها إلى العالم.

في شرق ليبيا، حيث يقود الجيش الوطني بقيادة المشير خليفة حفتر مسيرة الاستقرار، بدأت علامات إعادة الإعمار تظهر بوضوح. إعادة افتتاح مطار خليج سرت بعد اثني عشر عامًا من الإغلاق، والجهود المتواصلة لبناء البنية التحتية، ليست مجرد مشاريع هندسية، بل رسائل سياسية واقتصادية تعزز الروابط الإقليمية، وتفتح آفاقًا جديدة للسفر والتجارة.

ومع ذلك، تبقى التحديات قائمة، وأبرزها التدخلات الخارجية التي تستغل الخلافات بين الشرق والغرب، وتُغذّي الانقسام بدل أن تُسهم في الحل.

في هذا السياق، جاءت تصريحات المشير حفتر الأخيرة لتؤكد أن الشعب هو صانع القرار الحقيقي، محذرًا من انهيار الدولة، وداعيًا إلى انتفاضة سلمية تنهي حالة الجمود السياسي، وتعيد للمواطن الليبي ثقته في مؤسسات بلاده.

كمراقب عن قرب، أرى في الإعلام فرصة حقيقية لدعوة الكتّاب والمفكرين للمساهمة في بناء الوعي الوطني، وتجاوز منطق الاصطفاف. فليبيا، بكل تنوّعها الجغرافي والبشري، تتسع للجميع: شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا.

بنغازي تتنفس هواءً جديدًا. لا يمكن إنكار الجهود الكبيرة التي بذلها المشير حفتر في إعادة الإعمار، وإحياء الأمل في نفوس الليبيين، خاصة الشباب. تحت قيادته، شهدت بنغازي تحوّلًا ملموسًا نحو الاستقرار، مع إعادة بناء البنية التحتية، وتعزيز الأمن، وفتح مسارات جديدة للتعليم والعمل. هذه الجهود، وإن كانت سياسية في ظاهرها، إلا أنها استثمار في مستقبل ليبيا الموحدة، التي لا تُبنى بالشعارات، بل بالمؤسسات، والفرص، والعدالة.

ومع هذا التقدم، تبقى هناك تحديات وأزمات إنسانية لا يمكن تجاهلها، وهناك حاجة ملحّة إلى مصالحة وطنية حقيقية. تجديد تفويض بعثة الأمم المتحدة حتى أكتوبر 2026 يُظهر أن المجتمع الدولي لا يزال يرى في ليبيا ساحةً تحتاج إلى دعم، لكن هذا الدعم يجب أن يُترجم إلى سياسات تُراعي السيادة، وتُعزز الحوار، وتُعيد بناء الثقة بين الليبيين.

في ختام هذه الزيارة، لا يسعني إلا أن أشكر بنغازي، وأهلها، على كرم الضيافة، وعلى الروح الوطنية التي لا تنكسر، وكأنّي بهم يقولون باسم ليبيا كلها: "للحرب وقت، وللسلم وقت".. لقد آن الأوان لنضع الخلافات جانبًا ونبني وطنًا يتّسع للجميع.

ليبيا تستحق أن تكون وطنًا للجميع، وما رأيناه ولمسناه في بنغازي يؤكد أن المستقبل يبشّر بوحدة تقوم على الاعتراف المتبادل، والاحترام، والعمل المشترك. فليحيا الوطن حرًا، موحّدًا، مزدهرًا.

بزشكيان يحذر: إذا لم تمطر سنضطر إلى إخلاء طهران

طهران - عاد شبح الإخلاء من السكان ليخيم على العاصمة الإيرانية طهران بسبب أزمة المياه الحادّة التي تواجهها، وجعلت سكانها مهددين بالعطش في ظل موجة جفاف غير مسبوقة، دفعت مخزونات البلاد من الماء إلى حافّة النضوب بما في ذلك المخصصة للمدينة البالغ عدد سكانها أكثر من عشرة ملايين نسمة.

وحذر الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان من إمكانية الاضطرار إلى إخلاء المدينة من سكانها في حال استمرار انقطاع المطر.

ووفقا لصحيفة اعتماد الإيرانية، تناول بزشكيان مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في البلاد خلال اجتماع أثناء زيارته لمدينة سنندج غربي البلاد.

وذكر بزشكيان أن المشاكل الحالية في البلاد، بما في ذلك ارتفاع الأسعار والتضخم، ناجمة عن إجراءات خاطئة داخل البلاد ومرتبطة بالعقوبات.

والاثنين الماضي حذّر المدير العام لهيئة مياه طهران بهزاد بارسا في بيان من أن احتياطيات السدود لن تكفي لتزويد طهران بالمياه إلا لمدة أسبوعين إضافيين كحد أقصى.

جدير بالذكر أن طهران تُزوّد بالمياه من خمسة سدود، وشهدت معدلات هطول الأمطار انخفاضا ملحوظا في جميع أنحاء إيران خلال السنوات الخمس الماضية.

وتُشير بيانات الأرصاد الجوية إلى أن معدل هطول الأمطار هذا العام في طهران كان أقل بنحو أربعين في المئة عن المتوسطات الموسمية.

وحذّرت هيئة مياه محافظة طهران في يوليو الماضي من أن منسوب المياه في السدود التي تغذي طهران قد وصل إلى أدنى مستوى له منذ قرن، نتيجة للجفاف الذي شهدته إيران على مدى السنوات الخمس الماضية.

وغالبا ما تشهد العاصمة الإيرانية الواقعة على المنحدر الجنوبي من سلسلة جبال البرز، صيفا حارا وجافا وخريفا ممطرا في بعض الأحيان وشتاء قاسيا ومثلجا.

غير أنّ هذا النظام الطبيعي للفصول بدأ يختل وبدأ موسم الحرارة والجفاف يتمدّد إلى أغلب فترات السنة.

ويستهلك سكان العاصمة الإيرانية حوالي ثلاثة ملايين متر مكعب من المياه في اليوم وفقا لتقديرات إعلامية. وتم قطع المياه في الفترة الأخيرة عن العديد من أحياء المدينة، بهدف التوفير في استهلاكها.

> منسوب المياه في السدود التي تغذي طهران في أدنى مستوى له منذ قرن والكميات المتبقية تكفي لأسبوعين فقط

شهر يوليو الماضي أعلنت الحكومة الإيرانية يومي عطلة في طهران لإدارة استهلاك المياه والطاقة، في وقت كان يتم فيه قطع التيار الكهربائي بشكل شبه يومي في خضم موجة الحر. وقال الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان حينها إنّ "أزمة المياه أخطر مما يتمّ تداوله."

وتشهد مدينة طهران بشكل متسارع تنامي سلسلة من المشاكل باتت بمثابة مؤشر جدّي على قرب نهاية عهدها كعاصمة لإيران ومركز لأهم الأنشطة السياسية والاقتصادية في البلاد.

وتتراوح تلك المشاكل التي استند إليها الرئيس بزشكيان في دعوته إلى نقل العاصمة إلى مدينة أخرى غير طهران بين الانفجار الديموغرافي ومشكلة المياه المتنامية التي تمثل نموذجا عن حالة العجز المتنامية في نهوض الدولة بمسؤوليتها في مجال الخدمات العامّة وتوفيرها للجميع في كل الأوقات وبقدر مقبول من الوفرة والجودة.

ولا تخلو هذه المعضلات من بعد سياسي غير مباشر يتمثل في كون عاصمة بهذه المواصفات السيئة وهذا المستوى من الرداءة وضعف جودة الحياة فيها يمكنها أن تتحوّل سريعا إلى قنبلة موقوتة تحت أقدام النظام تهدّد أمنه واستقراره وتوفر وقودا لثورة شعبية ضدّه.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

الانتخابات بوابة تسرب الميليشيات إلى السلطة رغم الاعتراض الأميركي

قيس الخزعلي المصنف إرهابيّا من قبل واشنطن يسعى للحفاظ على تمثيل فصيله في البرلمان والحكومة بالعراق

وديع ومسالم.. حين تقتضي الظروف

اكتسبت الجماعات الشيعية المدعومة من طهران مثل عصائب أهل الحق بزعامة قيس الخزعلي نفوذا كبيرا منذ إطاحة الولايات المتحدة بنظام صدام حسين. ومن المستبعد أن تحقق عصائب أهل الحق مكاسب كبيرة في الانتخابات بعد فوزها بخمسة مقاعد برلمانية في انتخابات 2021، لكنها تأمل في الاحتفاظ بمستوى مماثل من الدعم أو تحقيق نتائج أفضل قليلا مقارنة بالانتخابات الماضية.

بغداد - يسعى قيس الخزعلي، وهو زعيم فصيل عراقي مسلح تصنفه الولايات المتحدة إرهابيا دوليا ويعتبر حليفا بارزا لإيران، إلى تحسين صورته في سعيه لأن يصبح واحدا من كبار السياسيين في العراق.

وسيمثل نجاح حركته عصائب أهل الحق المتحالفة مع إيران في الانتخابات البرلمانية الثلاثاء المقبل خطوة أخرى في محاولاته لإعادة تقديم نفسه، ما يمنحه المزيد من النفوذ في القيادة الشيعية وتأثيرا في تشكيل الحكومة.

ومن شأن ذلك أيضا دعم تحول الحركة من فصيل مسلح إلى قوة سياسية والمساعدة في تعزيز نفوذ الفصائل المتحالفة مع إيران على المشهد السياسي في العراق.

لكن أي أداء ضعيف لحركة عصائب أهل الحق، التي فازت بمقاعد في البرلمان في الانتخابات السابقة، سيشكل انتكاسة كبيرة لجهود الخزعلي لإعادة صياغة صورته، وقد يضعف إستراتيجية إيران الأشمل في الحفاظ على نفوذها على الفصائل المتحالفة معها في المشهد السياسي العراقي.

ويخشى الكثير من العراقيين ألا تحدث الانتخابات تغييرا يذكر في ظل فشل النخب، بما في ذلك الفصائل المسلحة المتحالفة مع إيران، في تحقيق إنجازات منذ الغزو الذي قادته الولايات المتحدة عام 2003.

وبرز الخزعلي في أعقاب الغزو الأميركي الفوضوي. وفي عام 2007 ألقت القوات الأميركية القبض عليه بتهمة الضلوع في هجوم على مجمع حكومي في كربلاء، معقل الشيعة في جنوب العراق، أدى إلى مقتل خمسة جنود أميركيين.

وأفرج عنه بعد نحو ثلاث سنوات قضاها في سجن كروبر الأميركي في العراق.

وعبر مسؤولون بريطانيون سابقا عن اعتقادهم في وقوف عصائب أهل الحق وراء اختطاف مبرمج الكمبيوتر البريطاني بيتر مور الذي أطلق سراحه في عام 2009.

وقاتل الخزعلي مع جيش المهدي التابع لرجل الدين الشيعي مقتدى الصدر ضد القوات الأميركية، لكنه انفصل عنه في عام 2006 ليشكل حركة عصائب أهل الحق المسلحة.

> لا أوهام لدى العراقيين بشأن إمكانية أن تحدث الانتخابات تغييرا يذكر في ظل فشل النخب في تحقيق أي إنجاز للبلاد

وشنّت الحركة عمليات عديدة ضد القوات الأميركية والعراقية. كما خاضت معارك ضد تنظيم الدولة الإسلامية عندما سيطر على ثلث البلاد، وفي الحرب الأهلية بسوريا المجاورة.

وكان الخزعلي من بين مقاتلين كثيرين تابعين لجماعات مسلحة توجهوا إلى شمال العراق لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية، حاملين أسلحتهم ويرتدون ملابس خضراء مموهة.

وسعى زعماء جماعات مسلحة سابقة أخرى لدخول المعترك السياسي، لكن تلك المساعي أثارت جدلا واسعا بسبب ارتباطهم بمسلحين تصرفوا دون محاسبة. وأسس بعضهم إمبراطوريات تجارية.

في عام 2012 قال الخزعلي، الذي نفذت جماعته المسلحة هجمات على أجانب خلال حرب العراق، إن الحركة ستلقي السلاح وإنها مستعدة للانضمام إلى العملية السياسية.

وقال الزعيم الميليشياوي في مقابلة مع وكالة رويترز "انتهت هذه المرحلة من الصراع العسكري بين المقاومة المسلحة العراقية وقوات الاحتلال، بانتصار عراقي واضح وتاريخي وفشل أميركي واضح وتاريخي."

كما أكد استعداد فصيله لتسليم رفات الحارس البريطاني آلان ماكمينمي الذي اختطف مع أربعة آخرين في عام 2007، دون شروط.

ويقول منتقدون إن عصائب أهل الحق لا تزال تمارس العنف رغم إعلانها الاستعداد لإلقاء السلاح والانضمام إلى العملية السياسية.

وفي عام 2020 قال الخزعلي إنه لم يعد هناك ما يبرر بقاء الآلاف من الجنود الأميركيين في العراق بعد هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية، وإنهم سيُعدون قوة احتلال إذا لم يرحلوا.

وقبل هذا أيد البرلمان العراقي توصية رئيس الوزراء بإنهاء وجود القوات الأجنبية، ردا على اغتيال الولايات المتحدة قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني وأبومهدي المهندس نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي العراقي.

وفي العام نفسه أعلنت وزارة الخارجية الأميركية الخزعلي إرهابيا دوليا. وقال مايك بومبيو وزير الخارجية الأميركي آنذاك إن عصائب أهل الحق وقادتها وكلاء لإيران ينتهجون العنف، ويستخدمونه في دعم سعي طهران لـ"تقويض سيادة العراق."

ورغم كونه قائدا لفصيل مسلح تجنب الخزعلي المشاركة في أعمال العنف المناهضة للولايات المتحدة التي جرت احتجاجا على الحملة العسكرية الإسرائيلية خلال حرب غزة، وشارك في أنشطة وزارة التعليم العراقية، التي وقعت اتفاقا كبيرا مع البنك الدولي.

ولد الخزعلي عام 1974 في مدينة الصدر الفقيرة في بغداد، وكان يُنظر إليه منذ فترة طويلة كمرشح سياسي محتمل.

ونفى تورط فصيله المسلح في المذبحة الطائفية التي قتل فيها الآلاف في عامي 2006 و2007، وقال إنه غير مطلوب لدى الحكومة العراقية لأي جريمة.

وفي عام 2019 فرضت وزارة الخزانة الأميركية عقوبات على الخزعلي واثنين من قادة الفصائل المسلحة لتورطهم في انتهاكات لحقوق الإنسان بعد مقتل مدنيين في مظاهرات. وجرى اتهام عصائب أهل الحق بإطلاق النار على المدنيين وقتلهم.

واقترب العراق من إنجاز استحقاق انتخابي مهم نظرا للظروف الإقليمية والدولية المحيطة بالبلد وتزايد الاهتمام الأميركي بوضعه الداخلي وبمسار عمليته السياسية حيث تبدي إدارة دونالد ترامب رغبة في تقليص دور الفصائل الموالية لإيران في شؤونه السياسية والأمنية.

ملامح قانون تركي يؤطر السلام مع حزب العمال الكردستاني

أنقرة - بدأ مسار السلام الذي انطلق مؤخرا بين تركيا وحزب العمال الكردستاني يتخذ منحىً جديا بدخول مرحلة وضع الإطار القانوني له من قبل الدولة التركية ما يمنح العملية قدرا من الثبات والمصداقية.

وتعمل أنقرة في الوقت الحالي على إعداد قانون يسمح للآلاف من مقاتلي الحزب المنتشرين بشكل رئيسي في المناطق الوعرة بشمال العراق وكذلك للمدنيين بالعودة إلى ديارهم في إطار مفاوضات لإنهاء الصراع الطويل المتواصل منذ أكثر من أربعة عقود مخلفا الآلاف من الضحايا.

وقال مسؤول كبير في الشرق الأوسط ومصدر في حزب سياسي كردي في تركيا إن القانون المقترح سيحمي العائدين إلى ديارهم، لكنه لا يشمل منح عفو عام عن الجرائم التي ارتكبها المسلحون السابقون. ويمكن بموجب هذه الخطط إرسال بعض قادة المسلحين إلى دول ثالثة.

وتعد إعادة مقاتلي حزب العمال الكردستاني وعائلاتهم إلى تركيا من قواعدهم في المنطقة الجبلية بشمال العراق إحدى آخر العقبات في عملية السلام التي انطلقت قبل عام لإنهاء صراع أودى بحياة نحو 40 ألف شخص.

وبينما تحدث المسؤولون علنا عن جهود المصالحة بشكل عام، كشف المصدران عن تفاصيل لم تنشر من قبل، ومنها مقترحات لعودة المدنيين والمقاتلين في دفعات منفصلة وإرسال القادة إلى دول ثالثة.

وقال المسؤول في الشرق الأوسط، الذي شرح المفاوضات الحساسة وطلب عدم الكشف عن هويته، إن التشريع الذي سيتيح عودة هؤلاء قد يطرح في البرلمان التركي هذا الشهر.

ويمثل الشروع في إنجاز هذا القانون خطوة باتجاه بناء الثقة التي لا تزال مهتزة بين الطرفين جرّاء حالة العداء المستحكم المترتبة على الفترة الطويلة من الصراع المسلّح.

وعلى مدى الأشهر الأخيرة التي شهدت تطورات نوعية في ملف حزب العمال باتجاه تخليه عن خيار العمل المسلح والدخول في عملية سلام مع الدولة التركية، لم تنقطع تحذيرات شخصيات ودوائر ذات صلة بالقضية الكردية في المنطقة من أنّ السلطة التركية تضمّ ضمن مكوناتها جناحا قوميا متشدّدا لا يؤمن بالسلام مع الحزب ويعتبر القوات التركية حاليا في وضع تفوّق ميداني ساحق وانتصار على مقاتلي الحزب في مواقع تمركزهم بالمناطق الوعرة شمالي العراق، وأنّه تجب مواصلة القتال حتى فرض السلام بالقوة لا بالتفاوض.

ولم يبتعد الخطاب الرسمي التركي بحدّ ذاته عن هذا المنطق حيث لا تزال حكومة الرئيس رجب طيب أردوغان تصنّف حزب العمّال تنظيما إرهابيا وتتوعّد مقاتليه باستخدام أقصى درجات القوّة ضدّهم في حال لم يلتزموا بالسلام وتطبيق شروطه بشكل كامل.

وفي مؤشر على صعوبة بناء الثقة بين الطرفين عبر حزب العمال في وقت سابق عن شكوكه في النوايا التركية. وقال مصطفى كاراسو، أحد مؤسسي الحزب وكبار قادته، لوسائل إعلام مقربة من حزبه "نحن جاهزون لكن الحكومة لم تتخذ الإجراءات الضرورية لإنجاز العملية،" متهما "مجموعة داخل الدولة بالسعي إلى تقويض العملية."

وأضاف قوله "يجب على الدولة التركية الوفاء بالتزاماتها،" معتبرا أنّه لا وجود في هذه المرحلة "لأي إجراءات يمكن أن تبعث على التفاؤل،" ومؤكّدا قوله "نريد استكمال العملية. فنهجنا وموقفنا تجاه هذه القضية متسقان تماما."

> القانون المقترح لا يشمل منح عفو عام ويحمي العائدين إلى ديارهم ويمكن بموجبه إرسال قادة المسلحين إلى دول أخرى

ومن مآخذ كاراسو على تركيا مواصلة جيشها عملياته ضدّ مقاتلي الحزب في مناطق كردستان العراق رغم الشروع في عملية السلام، وكذلك عدم اتخاذ أنقرة أي إجراء لتحسين ظروف سَجن مؤسس حزب العمال وزعيمه التاريخي عبدالله أوجلان.

وفي أواخر شهر فبراير الماضي دعا أوجلان البالغ من العمر ستة وسبعين عاما، والقابع في زنزانة انفرادية بجزيرة إمرالي قبالة سواحل إسطنبول منذ عام 1999، حزبه إلى حل نفسه والتخلي عن العمل المسلح.

وقال كاراسو إن "وضع زعيمنا يؤثر على العملية ويؤدي إلى إبطائها،" مذكّرا بأنّ "بعض الأصدقاء توجهوا إلى الجزيرة لزيارته لكن هذا غير كاف،" ومضيفا أن ظروف السجن القاسية لزعيم حزب العمال تولد "الكثير من سوء الفهم حول العملية التي بدأت، في حين أن أوجلان أمسك باليد الممدودة من الحكومة التركية."

وفي أكتوبر الماضي دعا دولت بهجلي، زعيم الحركة القومية الحليفة لحكومة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، حزب العمال الكردستاني إلى إلقاء السلاح من أجل "الحق في الأمل."

وتابع مصطفى كاراسو "لا أقول إن العملية متوقفة، فنحن نريدها أن تستمر وتتحقق. لكن الوضع يدفعنا إلى ملاحظة وجود انسداد. وموقف الحكومة هو السبب."

الغموض يلف مصير الهدنة في السودان

الخرطوم - لا يبدو أن الحرب المتواصلة منذ أكثر من عامين بين هذه القوات والجيش السوداني اقتربت من نهايتها، رغم إعلان قوات الدعم السريع موافقتها على مقترح لهدنة إنسانية مؤقتة في السودان.

وكان قائد الجيش الفريق أول عبدالفتاح البرهان أعلن ضمنيا عن رفضه الهدنة، بتأكيده أن الجيش ماض في القتال إلى حين القضاء على "الميليشيا"، في إشارة إلى قوات الدعم السريع.

لا يبدو أن الحرب اقتربت من نهايتها

ويرى مراقبون أن الجيش وحلفاءه يتجنبون إلى حد الآن إعلان موقف واضح وصريح من الهدنة المطروحة من قبل الآلية الرباعية التي تقودها الولايات المتحدة، ويعتمدون سياسة المراوغة، وهو ما يعكس ترددا.

كما لا يخفي هؤلاء شكوكهم حول ما إذا كانت قوات الدعم السريع جاهزة حقا لتطبيق الهدنة، ويحذّرون من أنها في الواقع تستعد لشنّ هجوم للسيطرة على مدينة الأُبيّض. لكن النزاع ربما وصل إلى نقطة تحول.

واندلعت الحرب في أبريل 2023 بين الجيش بقيادة البرهان وقوات الدعم السريع بقيادة نائبه السابق محمد حمدان دقلو الملقب "حميدتي".

وتقترح حاليا دول الرباعية، المشكلة من الولايات المتحدة والسعودية والإمارات ومصر، وقفا لإطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر تعقبه ترتيبات لليوم التالي تمتد لتسعة أشهر.

وقبل أقل من أسبوعين، سيطرت قوات الدعم السريع على مدينة الفاشر، آخر معاقل الجيش الكبرى في إقليم دارفور في غرب البلاد.

وأعلنت قوات الدعم السريع استعدادها لوقف إطلاق النار. وقال كاميرون هدسون من مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية ومقره واشنطن إن "هدفها تقديم نفسها على أنها تتحلى بالمسؤولية أكثر من الجيش".

وأضاف أن الجيش في المقابل "يركز الآن على استعادة كامل كردفان ثم التقدم إلى الفاشر".

أدى سقوط الفاشر إلى إحكام قوات الدعم السريع سيطرتها على عواصم ولايات دارفور الخمس إضافة إلى أجزاء من الجنوب، بينما يسيطر الجيش على المناطق الشمالية والشرقية والوسطى على طول نهر النيل والبحر الأحمر.

يرى هدسون أن "قوات الدعم السريع، بعد أن سيطرت الآن على كل دارفور، لديها حافز لمحاولة إدخال الغذاء والمساعدات إلى المناطق الخاضعة لسيطرتها، ولكن الجيش لديه حافز لعدم السماح لقوات الدعم السريع بتعزيز مكاسبها".

والجمعة، غداة موافقة قوات الدعم السريع على مقترح وقف إطلاق النار، سُمعت انفجارات في الخرطوم وعطبرة، وهي مدينة يسيطر عليها الجيش وتقع على بعد نحو 300 كيلومتر شمال الخرطوم، وفق ما أفاد شهود.

ويسود هدوء نسبي في الخرطوم منذ أن سيطر عليها الجيش هذا العام، لكن قوات الدعم السريع تواصل شن هجمات في عدة مناطق.

> قوات الدعم السريع، بعد أن سيطرت الآن على كل دارفور، لديها حافز لمحاولة إدخال الغذاء والمساعدات إلى مناطق سيطرتها

وقال شهود في شمال مدينة أم درمان في العاصمة إنهم سمعوا أصوات "مضادات (أرضية) ومن بعدها انفجارات" من جهة قاعدة وادي سيدنا العسكرية، ولاحقا من جهة محطة المرخيات للطاقة قبل تسجيل "انقطاع التيار الكهربائي".

وفي عطبرة، تحدث شهود عن "ظهور عدد من المسيّرات فوق المدينة أسقطتها المضادات"، وأفادوا "باندلاع النيران وأصوات انفجارات في شرق المدينة".

ولم ترد أنباء فورية عن سقوط ضحايا.

ولم يعلق الجيش ولا قوات الدعم السريع على الانفجارات، علما أن الأخيرة تستخدم طائرات مسيّرة بعيدة المدى لضرب المناطق التي يسيطر عليها الجيش منذ أن أجبرها على الانسحاب من العاصمة.

وفي الجنوب، صعّدت قوات الدعم السريع من عملياتها في مدينة الدلنج المحاصرة في جنوب كردفان.

وتقع الدلنج على بعد نحو 150 كيلومترا جنوب غرب الأبيض، وهي مفترق طرق رئيسي يربط دارفور بالخرطوم.

من الصعب التأكد من المعلومات التي يوردها طرفا النزاع والتطورات على الأرض في ظل انقطاع الاتصالات في المنطقة.

تعد ولاية جنوب كردفان الواقعة على الحدود مع دولة جنوب السودان، واحدة من أغنى مناطق السودان بالموارد، وتضم حقل هجليج النفطي، أحد أكبر الحقول في البلاد.

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

من الوساطة إلى صناعة النفوذ: قطر على أعتاب مرحلة جديدة من التأثير الإقليمي

الدوحة تعيد تعريف دورها في الشرق الأوسط

تتحول قطر من وسيط دبلوماسي إلى صانع نفوذ إقليمي، مستثمرة تحالفها المتنامي مع إدارة دونالد ترامب ودورها المحوري في ملفات الشرق الأوسط لإعادة رسم موقعها في معادلة القوة الجديدة.

الدوحة - تبدو قطر اليوم على أعتاب تحوّل إستراتيجي يعيد رسم موقعها في الخارطة السياسية للشرق الأوسط. فمن دولة اشتهرت بدورها كوسيط بين الخصوم، وبقدرتها على إدارة التناقضات دون أن تنخرط فيها، تتحول الدوحة تدريجياً إلى لاعب سياسي يصوغ موازين النفوذ، ويعيد تعريف قواعد التحالف والخصومة في الإقليم.

ولا يأتي هذا التحول من فراغ، بل يتجذر في سياق تفاعل معقد جمع بين طموح القيادة القطرية لإثبات حضورها الدولي وبين ديناميكية جديدة في علاقاتها مع الولايات المتحدة تحت إدارة الرئيس دونالد ترامب، التي أعادت فتح الباب أمام قطر لتتجاوز دور "الوسيط النزيه" نحو موقع "الفاعل المؤثر".

> الدوحة تتحول من دولة اشتهرت بدورها كوسيط بين الخصوم، إلى لاعب سياسي يصوغ موازين النفوذ

وبدت ملامح التحول بوضوح منذ أزمة الحصار الخليجي عام 2017، حين وجدت الدوحة نفسها مضطرة إلى الاعتماد على استقلال قرارها السياسي والاقتصادي لتعويض خسارة العمق الخليجي التقليدي.

ودفعت تلك الأزمة قطر إلى ترسيخ أدوات نفوذها الناعمة: المال، والإعلام، والدبلوماسية متعددة المسارات.

ومع مرور الوقت لم تعد قطر مجرد منصة للتوسط بين المتنازعين، بل باتت تمتلك شبكة مصالح تمتد من أفغانستان إلى القرن الأفريقي وغزة. لكن اللحظة الحاسمة التي كرّست هذا الدور الجديد جاءت في خريف 2025، عندما اندمجت السياسة القطرية في قلب المشروع الدبلوماسي الجديد الذي طرحه الرئيس ترامب تحت عنوان "صفقة غزة" وما رافقها من اضطرابات أمنية وسياسية قلبت حسابات المنطقة رأساً على عقب.

وفي تلك اللحظة كانت قطر قد وجدت في إدارة ترامب شريكاً يمنحها مساحة استثنائية من النفوذ.

وبعد الهجوم الإسرائيلي المثير للجدل على قيادات حركة حماس في الدوحة في سبتمبر 2025، والذي استهدف عملياً إفشال مساعي وقف إطلاق النار التي يرعاها ترامب، وجدت واشنطن نفسها مضطرة إلى الدفاع عن قطر، ليس فقط لأنها حليف إستراتيجي وتستضيف أكبر قاعدة عسكرية أميركية في الشرق الأوسط، بل لأنها أصبحت جزءاً من مشروع ترامب السياسي والشخصي في المنطقة.

وكان الهجوم بمثابة لحظة مفصلية؛ إذ دفع ترامب إلى معاقبة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو علناً، مجبراً إياه على الاتصال برئيس الوزراء القطري لتقديم اعتذار رسمي من المكتب البيضاوي، في مشهد نادر يكشف حجم التحول في موازين العلاقة بين واشنطن وحلفائها في المنطقة.

وبعد ثلاثة أسابيع فقط، وبتوقيع اتفاق أمني غير مسبوق بين الدوحة وواشنطن، ارتقت قطر إلى موقع الشريك الإستراتيجي الموثوق لدى إدارة ترامب.

ولم يعد الأمر مجرد تعاون أمني، بل صار تحالفا شخصيا قائما على الثقة المتبادلة والمصالح المشتركة.

ووجد ترامب، الذي لطالما بنى سياسته الخارجية على العلاقات الفردية، في أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني نموذجاً للحاكم البراغماتي القادر على ترجمة الطموح الأميركي إلى نتائج ملموسة، فيما رأت الدوحة في ترامب رئيساً يمكن توظيف نزوعه الشخصي نحو صناعة السلام لتحقيق اختراق دبلوماسي يعزز مكانتها الإقليمية.

ومنذ تلك اللحظة بدأت قطر تعيد تعريف نفسها: من وسيط إلى صانع نفوذ. فدورها في ملف غزة تجاوز الوساطة التقليدية بين حماس وإسرائيل إلى موقع "الضامن" السياسي للاتفاق، إلى جانب مصر وتركيا.

ومع أن مهام الضمان تبدو تقنية في ظاهرها، إلا أنها منحت الدوحة سلطة معنوية على الأطراف المتنازعة، خصوصاً في ظل اعتماد واشنطن على شبكتها الواسعة من القنوات مع الفصائل الفلسطينية. لكن ما يميز المرحلة الراهنة هو أن الدوحة لم تعد تكتفي بإدارة الأزمات، بل أصبحت طرفاً في صياغة مستقبلها. وأضفى التحالف مع إدارة ترامب على هذا الدور بعداً مزدوجا: شخصي وإستراتيجي.

وعلى المستوى الشخصي منح ترامب القيادة القطرية جرعة غير مسبوقة من الثناء والدعم العلني، مكرراً في قمة شرم الشيخ عباراته الودية تجاه "القائد العظيم الذي يحبه شعبه."

وأما على المستوى الإستراتيجي فقد أدرج ترامب قطر ضمن معادلة الأمن الإقليمي الجديدة التي تقوم على إعادة توزيع الأدوار بين الحلفاء العرب وفق معيار الولاء والفاعلية، لا وفق الحجم الجغرافي أو التاريخ السياسي.

وبذلك وجدت قطر نفسها تتحول من "وسيط مكمل" إلى "ركيزة" في النظام الأمني الذي يحاول ترامب هندسته في الشرق الأوسط. لكن هذه المكانة الجديدة لم تأت من دون ثمن. فمع تصاعد الدور القطري، تعمقت أيضاً التحديات التي تواجه الدوحة في الميدان.

وتفتقر خطة ترامب للسلام في غزة، رغم ما تحمله من شعارات براقة، إلى مضمون عملي واضح، إذ لم تقدم الخطة آلية لنزع سلاح حماس أو لإقامة إدارة فلسطينية موحدة أو لضمان الحدود مع إسرائيل.

ومع بقاء هذه القضايا معلّقة، وجدت قطر نفسها في وضع حرج بين رعايتها للاتفاق وبين التزاماتها الأخلاقية والسياسية تجاه القضية الفلسطينية. فهي تدرك أن أي فشل في الخطة سيُعزى إليها جزئيا، خصوصاً أنها الطرف الأكثر نشاطاً بين "الضامنين الثلاثة".

وفي الوقت ذاته تعرف الدوحة أن تحالفها مع ترامب يحمل طابعاً شخصياً أكثر من كونه مؤسسياً. فالاتفاق الأمني الذي وقّعه ترامب في سبتمبر 2025، والذي تعهد فيه باعتبار أي هجوم على قطر تهديداً للأمن الأميركي، يمثل التزاماً رمزياً يعكس إرادة رجل أكثر مما يعكس سياسة دولة.

ويمنح هذا النوع من العلاقات القائمة على الثقة الشخصية قطر نفوذاً مؤقتاً لكنه هشّ، لأنه يرتبط بوجود ترامب في البيت الأبيض وبمزاجه السياسي.

ولذلك تحاول الدوحة توظيف هذا النفوذ بحذر، مدركة أن الإفراط في الاعتماد عليه قد يجعلها أسيرة تقلبات الرئيس الأميركي ومصالحه المتغيرة.

ورغم ذلك استطاعت قطر أن تستثمر هذه اللحظة التاريخية لتعزيز نفوذها في محيطها العربي.

وبفضل قدرتها على التواصل مع مختلف القوى -من حماس إلى واشنطن مروراً بطهران وأنقرة- أصبحت لاعباً لا يمكن تجاوزه في أي معادلة تتعلق بغزة أو بمستقبل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.

وتحولت الدوحة من عاصمة للمفاوضات إلى مركز لصياغة التوازنات، ومن وسيط بين المتخاصمين إلى ضامنٍ ومقرر في مسارهم السياسي.

وتُعكس هذه المكانة الجديدة تطورا في فلسفة السياسة الخارجية القطرية نفسها. فالدوحة التي بنت نفوذها خلال العقدين الماضيين على "قوة المرونة" والدبلوماسية الهادئة، تميل اليوم إلى ممارسة "قوة المبادرة"، أي الانتقال من الحياد إلى الفعل، ومن التأثير عبر الآخرين إلى التأثير المباشر.

ويبدو أن القيادة القطرية أدركت أن الوساطة وحدها لم تعد كافية في بيئة إقليمية تتغير بسرعة، حيث تصنع القوة من يمتلك القرار لا من يسهّل الحوار.

وفي ضوء هذا التحول باتت قطر تفكر في خيارات إستراتيجية أوسع. أحدها مواصلة العمل خلف الكواليس بالشراكة مع واشنطن ومصر وتركيا لتثبيت وقف إطلاق النار وإعادة إعمار غزة، عبر تمويل مشاريع إنسانية واقتصادية تُعيد بعض الأمل إلى السكان وتحافظ على الاستقرار.

وأما الخيار الثاني فيقوم على انتهاج دبلوماسية أكثر علنية وجرأة، توظف التحالف مع ترامب لتكريس نفوذ إقليمي علني يجعل من الدوحة مركز ثقل سياسي منافسا للعواصم الخليجية الكبرى. غير أن هذا الخيار محفوف بالمخاطر، لأنه قد يستفز دولاً مثل الإمارات أو إسرائيل التي تراقب بقلق تمدد الدور القطري.

ويبقى الخيار الثالث هو الأكثر طموحا وربما الأكثر خطورة: أن تتجه قطر إلى استثمار ضخم في بناء مؤسسات الدولة الفلسطينية في الضفة وغزة، بما يجعلها شريكا رئيسيا في صياغة مستقبل القضية لا مجرد ممول لها. خطوة بهذا الحجم ستجعل من الدوحة لاعبا إقليميا بمستوى تركيا والسعودية، لكنها ستتطلب مواجهة مباشرة مع إسرائيل وضغطا على إدارة ترامب لدفعها إلى قبول مسار سياسي حقيقي نحو الدولة الفلسطينية، وهو ما لا يبدو أن نتنياهو مستعد له في الوقت الراهن.

وفي نهاية المطاف تكشف التجربة القطرية أن النفوذ في الشرق الأوسط لم يعد يُقاس بالمساحة أو القوة العسكرية، بل بالقدرة على الجمع بين المال والسياسة والعلاقات الدولية.

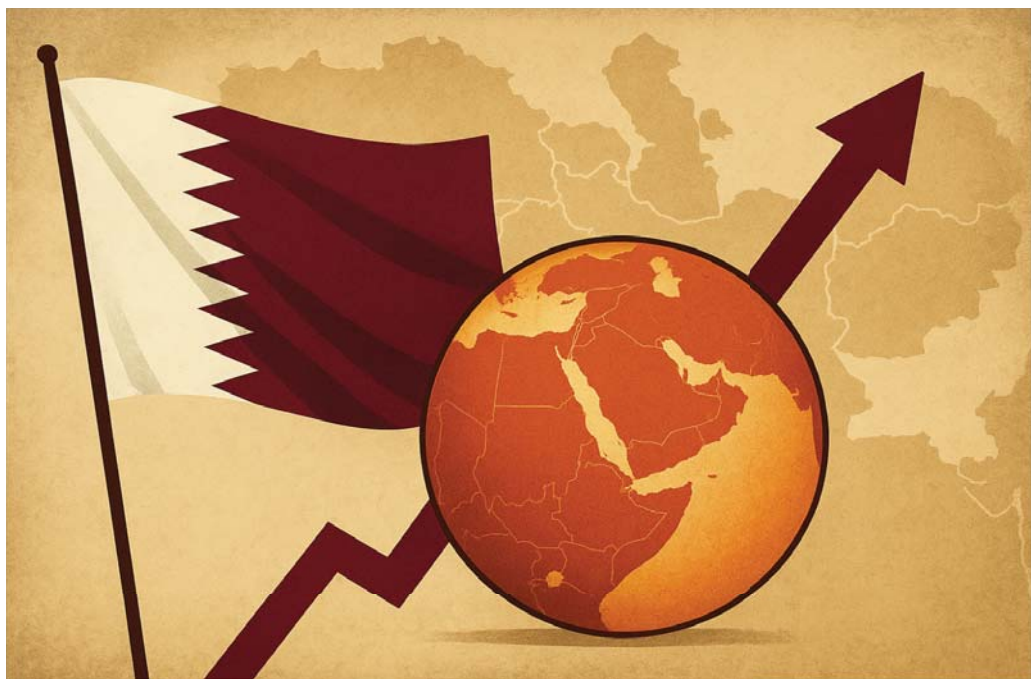

لاعب أساسي في السياسات الإقليمية

سوريا على أعتاب تحول دبلوماسي كبير مع زيارة الرئيس الشرع إلى واشنطن

تقف سوريا اليوم على أعتاب تحول دبلوماسي غير مسبوق منذ عقود، مع زيارة الرئيس أحمد الشرع إلى واشنطن في لحظة مفصلية تعيد رسم ملامح العلاقة بين البلدين. فالبيت الأبيض يختبر نوايا دمشق في مكافحة الإرهاب قبل المضي في مسار التطبيع الكامل، بينما تراهن سوريا على أن الانفتاح الأميركي قد يكون بوابتها للعودة إلى المجتمع الدولي بعد سنوات طويلة من العزلة والعقوبات.

واشنطن - تدخل سوريا مرحلة دقيقة من تاريخها السياسي والدبلوماسي مع اقتراب زيارة الرئيس أحمد الشرع إلى واشنطن، في حدث يوصف بأنه نقطة تحول محتملة في علاقة دمشق بالولايات المتحدة بعد أكثر من أربعة عقود من العداء والعقوبات.

ويرى الباحث مايكل جاكوبسون في تقرير نشره معهد واشنطن أن زيارة الشرع إلى البيت الأبيض ليست مجرد محطة بروتوكولية، بل اختبار معقد تتقاطع فيه الحسابات الأمنية مع الأبعاد السياسية، ويُراد منه استكشاف ما إذا كانت سوريا الجديدة قادرة على أن تتحول من دولة منبوذة إلى شريك محتمل في مكافحة الإرهاب، وما إذا كان البيت الأبيض مستعدًا فعلًا لفتح صفحة جديدة مع نظام تشكّل صورته في الوعي الأميركي من خلال إرث طويل من الاتهامات بدعم التطرف والإرهاب الإقليمي.

ومنذ إدراج سوريا عام 1979 على قائمة الدول الراعية للإرهاب، ظلت واشنطن تتعامل مع دمشق بوصفها جزءًا من محور التحدي الذي يضم إيران وحزب الله وعددًا من الفصائل الفلسطينية المسلحة. لكن الظروف اليوم تبدلت جذريًا بعد سقوط نظام بشار الأسد وصعود قيادة جديدة تحاول أن تعيد تموضع البلاد على الخريطة الدولية.

ويدرك الرئيس أحمد الشرع الذي يسعى لتثبيت حكمه بعد سنوات الحرب والانهيار، أن كسر العزلة الدولية لا يمكن أن يتحقق من دون تفاهم مع الولايات المتحدة.

وفي المقابل، ترى إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب في القيادة الجديدة فرصة لإعادة تشكيل التوازنات في المشرق العربي عبر إدماج سوريا في المنظومة الإقليمية التي تتبناها واشنطن لمحاصرة النفوذ الإيراني واحتواء الفوضى التي خلفتها الحرب على الإرهاب.

وتسعى إدارة ترامب إلى مقاربة براغماتية في التعامل مع الملف السوري. فبدلاً من سياسة العقوبات والاحتواء التي اتبعتها الإدارات السابقة، يفضّل ترامب مقاربة "الفرصة المشروطة"، أي منح دمشق إمكانية الخروج من عزلتها إذا ما التزمت بسلسلة من الخطوات العملية في مكافحة الإرهاب وقطع روابطها مع القوى والميليشيات الموالية لإيران.

ومن أبرز المؤشرات على هذا التحول، المراجعة الجارية داخل الإدارة الأميركية لإمكانية رفع اسم سوريا من قائمة الدول الراعية للإرهاب، وهو قرار لو تحقق فسيعني انتقال دمشق من خانة الدولة المعاقَبة إلى الدولة القابلة للشراكة.

ومع ذلك، تدرك واشنطن أن أي خطوة من هذا النوع تحمل مخاطر سياسية، إذ قد تُفهم على أنها مكافأة مبكرة لنظام لم يثبت بعد أنه تخلّى نهائيًا عن سياساته القديمة.

وتأتي زيارة الشرع إلى واشنطن بعد ستة أشهر من لقائه الأول مع الرئيس ترامب، الذي عبّر آنذاك عن قناعته بأن على سوريا أن تُمنح فرصة جديدة، معتبراً أن استمرار العقوبات سيجعل من الصعب عليها تحقيق الاستقرار الداخلي والمساهمة في جهود مكافحة الإرهاب. غير أن ترامب، الذي يتحرك بحذر في الملفات الحساسة، اشترط أن يكون أي انفتاح أميركي مشروطًا بتقدّم ملموس من دمشق في معالجة القضايا التي تُعدّ أساس الخلاف التاريخي بين البلدين.

وتشمل هذه القضايا مكافحة الجماعات الإرهابية العابرة للحدود، وترحيل المقاتلين الفلسطينيين المطلوبين، وحظر التنظيمات المسلحة داخل الأراضي السورية، والمساعدة في منع عودة تنظيم الدولة الإسلامية، وتولي مسؤولية مراكز احتجاز مقاتليه في شمال شرق البلاد.

وينظر البيت الأبيض إلى هذه المطالب باعتبارها اختبارًا حقيقيًا لنية القيادة السورية الجديدة، بينما ترى دمشق أن الامتثال لها قد يفتح الباب أمام مرحلة من التعاون الأمني والسياسي غير المسبوق.

وتؤكد مصادر أميركية أن المبعوث الخاص توم باراك هو الذي يقود الاتصالات مع دمشق، وقد أعلن صراحة أن الشرع سيوقع خلال زيارته اتفاقًا مبدئيًا للانضمام إلى التحالف الدولي ضد تنظيم داعش، وهو ما يُعد خطوة رمزية تؤشر إلى تغير جوهري في موقع سوريا من "الداعم إلى الشريك". لكن الطريق إلى هذا التحول لا يزال طويلاً، إذ يطالب الأميركيون بضمانات مكتوبة من الحكومة السورية بعدم العودة إلى أي نشاط أو دعم ذي طابع إرهابي، وبالالتزام الصارم بمنع إيران وحزب الله من استغلال الأراضي السورية لأي نشاط عسكري أو مالي.

> الرئيس أحمد الشرع الذي يسعى لتثبيت حكمه يدرك أن كسر العزلة الدولية لا يمكن أن يتحقق من دون تفاهم مع الولايات المتحدة

وعلى الرغم من الصورة الجديدة التي يحاول الشرع رسمها لسوريا، إلا أن واشنطن ما زالت تتعامل بحذر مع أداء دمشق في مكافحة الإرهاب.

وتشير التقارير الأميركية إلى أن الحكومة الجديدة اتخذت بالفعل خطوات ملموسة لإغلاق طرق تهريب الأسلحة والأموال التي كانت تصل إلى حزب الله، وأنها حدّت من حركة المستشارين العسكريين الإيرانيين، لكنها لم تصل بعد إلى مستوى السيطرة الكاملة على هذه الشبكات.

كما أن التعاون السوري الأميركي ضد تنظيم الدولة ظل محدودًا ومحكومًا باعتبارات الثقة.

ورغم أن الشرع كان على خلاف مع التنظيم منذ عام 2013 حين كان يقوده أبو بكر البغدادي تحت مسمى "دولة العراق الإسلامية"، فإن إدارة ترامب ترى أن اختبار الجدية يكمن في قدرة دمشق على منع عودة التنظيم في مناطق البادية وعلى إدارة مراكز احتجاز آلاف المقاتلين الأجانب.

وفي المقابل، تراهن القيادة السورية على أن الانفتاح الأميركي سيمنحها الموارد والخبرة اللازمة لبناء مؤسسات أمنية أكثر فاعلية، خصوصًا من خلال برامج مثل صندوق وزارة الدفاع لتدريب وتجهيز القوات ضد داعش، وبرامج وزارة الخارجية الخاصة بمكافحة الإرهاب ونزع الألغام. وتدرك دمشق التي خرجت من حرب مدمرة أن بناء قدرات أمنية جديدة لا يمكن أن يتحقق من دون دعم دولي، وأن استعادة السيطرة الكاملة على أراضيها تستلزم تعاونًا استخباراتيًا واسعًا مع القوى الكبرى.

ومن هنا، يُنظر إلى زيارة الشرع بوصفها محاولة مزدوجة: من جهة تسعى إلى كسب الثقة الأميركية، ومن جهة أخرى إلى تأمين دعم مالي وتقني يمكن أن يساعد في إعادة بناء أجهزة الدولة. غير أن المعضلة الحقيقية تكمن في البنية السياسية الداخلية لسوريا الجديدة.

وهكذا، تقف سوريا اليوم أمام مفترق طرق تاريخي: فإما أن تنجح في تحويل زيارة الشرع إلى واشنطن إلى بداية عهد دبلوماسي جديد يعيد إليها الاعتراف والمكانة، أو أن تبقى رهينة ماضيها، تراوح في هامش السياسة الدولية بين الوعود المؤجلة والفرص الضائعة.

وفي كلتا الحالتين، سيبقى قرار البيت الأبيض اختبارًا فاصلًا لنوايا دمشق، ومؤشرًا على ما إذا كانت الولايات المتحدة مستعدة فعلًا لغلق صفحة الحرب الباردة مع سوريا، أم أنها تفضل إبقاء الباب مواربًا في انتظار دليل قاطع على أن التحول هذه المرة حقيقي ومستدام.

لقاء ثان مرتقب يعيد ترتيب الأولويات

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

تنامي رهانات لبنان على توسيع دور التكنولوجيا المالية

منصة بلو واليت تدشن محفظة أعمالها بالسوق المحلية وسط تفاؤل بالمساهمة في تسهيل المعاملات

مع تصاعد الضغوط الاقتصادية وتراجع الثقة بالنظام المالي التقليدي، يراهن لبنان على توسيع دور التكنولوجيا المالية كخيار إستراتيجي لدعم التحول الرقمي وتحريك عجلة النمو. ويأمل صانعو القرار أن تسهم الخطوة في جذب الاستثمارات وتعزيز الشمول المالي رغم التحديات التنظيمية القائمة.

لا حاجة للكاش

بيروت - تتجه أنظار لبنان بشكل متسارع نحو التكنولوجيا المالية بوصفها أحد المسارات القليلة القادرة على كسر الجمود وفتح آفاق جديدة أمام القطاع المصرفي والاقتصاد الرقمي، في خضمّ الأزمة الاقتصادية والمالية التي يعيشها البلد منذ أعوام.

ومع تراجع الثقة بالنظام المالي وتزايد الحاجة إلى حلول مبتكرة في مجالات الدفع والتحويل والإقراض، تتنامى رهانات المسؤولين على توسيع دور التكنولوجيا المالية كمدخل لإعادة بناء الثقة، وتحفيز الاستثمارات، وتسهيل التعاملات داخل الاقتصاد وخارجه.

ويبدو أن هذا التحول، على الرغم من تحدياته التنظيمية، يحمل فرصاً واعدة لتحديث البنية المالية ودمج فئات أوسع من المجتمع في الدورة الاقتصادية الرقمية.

محمد شقير

المنتج الجديد سيضع لبنان ضمن شبكة مالية عالمية

سعد الجمل

على يقين بأن بلو سوف تكون نموذجاً رائداً يحتذى به

ودشنت الخميس شركة بلو واليت للخدمات المالية الرقمية، ومقرها إقليم كتالونيا في إسبانيا، محفظة أعمالها في البلاد، لتنضم بذلك إلى مجموعة من المنصات العالمية التي تنشط في لبنان.

وبلو واليت هي محفظة رقمية مخصصة بشكل رئيسي لعملة بيتكوين، تدعم المعاملات عبر الشبكة الرئيسية أون-تشين وكذلك عبر شبكة لايتنينغ للمعاملات الفورية.

وتركّز الشركة التي تأسست في عام 2017 على مبادئ السيطرة الذاتية للمستخدم والبرمجيات مفتوحة المصدر، ما يعني أن المستخدم يحتفظ بمفتاحه الخاص ولا يعتمد على جهة ثالثة.

ولا تُعدّ بلو واليت بالمعنى التقليدي شركة فينتك ضخمة توفر جميع الخدمات المالية، بل تُركّز على محفظة رقمية متخصصة، ما يمنحها بساطة ووضوحاً في الاستخدام.

ويطمح المسؤولون أن تحقق هذه المبادرة الرائدة نقلة في عالم الخدمات المالية بالبلاد خاصة مع التعويل على القطاع الخاص اللبناني، ووجود مبادرين محليين، لمواكبة كل التطورات الحاصلة في الرقمنة المالية وكذلك الذكاء الاصطناعي.

وقال رئيس الهيئات الاقتصادية محمد شقير خلال إطلاق عمليات المنصة بمقر غرفة بيروت وجبل لبنان "نطلق معاً منتجاً مالياً رقمياً جديداً متمثلاً بشركة بلو المالية في السوق اللبنانية، وهي شركة تتمتع بمواصفات عالمية، ستضع لبنان ضمن شبكة مالية عالمية."

وأضاف "الشركة ستوفر شبكة من المراكز في الداخل لخدمة الزبائن واللبنانيين بمختلف فئاتهم وشرائحهم، وانطلاقاً من كونها خدمة رقمية فإنها ستستهدف جيل الشباب بشكل أساسي. وهذا أمر هام، كونه يدخل لبنان عالم التكنولوجيا المالية من بابها العريض."

ولفت شقير، وزير الاتصالات الأسبق، إلى أن "الخدمات التي توفرها الشركة ليست محصورة في لبنان فحسب، إنما من لبنان إلى العالم ومن العالم إلى لبنان لتقديم خدمات مالية سواء كانت فردية أو تجارية على اختلافها،" وفق ما نقلته وكالة الأنباء اللبنانية الرسمية.

وأضاف "نطلق هذه المبادرة الرائدة ونحن نشعر بألم من تأخر الدولة في تنفيذ الإصلاحات الشاملة لاسيما إصلاح القطاع المصرفي، للقيام بدوره. نأمل أن يتم ذلك سريعاً، لأنه لا نهوض للاقتصاد ولا نموّ مستداماً من دون تعافي القطاع المصرفي."

ويتجنب الكثير من اللبنانيين تماما التعامل مع البنوك حاليا، ويديرون شؤونهم المالية عن طريق تطبيقات التكنولوجيا المالية وخدمات تحويل الأموال. ويلجأون إلى شركات، مثل ويش للتكنولوجيا المالية أو أو.أم. تي لتحويل الأموال بدلا من البنوك. وينجز المتعاملون عمليات الدفع مقابل الخدمات العامة، مثل فواتير المياه أو رسوم تسجيل السيارات، والخدمات التجارية، مثل خطوط الهاتف، وحتى المشتريات العادية من متاجر الأدوات المنزلية أو خدمات البث.

وتعمل العشرات من البنوك التجارية في لبنان الذي يزيد عدد سكانه قليلا عن أربعة ملايين نسمة. وأدى الانهيار المالي إلى حرمان العديد من كبار السن اللبنانيين من إمكانية الحصول على معاشاتهم التقاعدية.

وفرض القطاع المصرفي على مدار أشهر قيودا متصاعدة على سحب الأموال، حيث لا يمكن للمتعاملين في بعضها سحب أكثر من 800 دولار شهريا، ما تسبب في قيام بعض المودعين بالتهجم على بعض الفروع للحصول على مستحقاتهم.

وأكد سعد الجمل الرئيس التنفيذي لشركة بلو أن لبنان اليوم أمام مرحلة تحوّل حقيقيّة، وهو تحوّل من اقتصاد يعتمد على النّقد إلى مجتمع رقمي متكامل ومتطور.

> **46**
> فرعاً لشركة بلو واليت في البلاد والتي ستوفر أكثر من 400 صراف آلي مع مطلع عام 2026

وقال إن "هذا التحوّل لم يعد خياراً أو رفاهية، بل أصبح ضرورة حتميّة، وقد حان الوقت لأن نكون جزءاً فاعلاً من هذا التّطوّر بعزيمة وابتكار."

ولفت الجمل إلى أنه "على يقين بأن بلو سوف تكون نموذجاً رائداً يحتذى به وستلبّي احتياجات اللبنانيين على مستوى الخدمات المالية الرقمية وفقاً لأعلى المعايير العالمية."

وأشار إلى أن الشركة قادرة بأن تخدم المواطن الذي يلجأ إلى مصارف خارج لبنان لمواكبة التطورات اليوم، وبإمكانه من خلال التطبيق أن يكون لديه حساب رقمي وإجراء تحويلات داخلية وخارجية وأن تكون لديه بطاقة ائتمان رقمية.

وتعاونت بلو مع بنك البحر المتوسط من أجل مواكبة شركات عالمية حجم أعمالها تبلغ المليارات من الدولار وتقديم نفس الخدمات التي تقدمها.

وبدأت الشركة الاستثمار قبل أربع سنوات في خضم الأوقات الصعبة التي يعيشها لبنان. وقال الجمل "إيماننا في البلد وعاصمته لجعلها منارة الشرق الأوسط ومواكبة البلدان المتقدمة في التكنولوجيا والخدمات."

ومن المخطط أن يكون للشركة 46 فرعاً منتشرة في لبنان، وكذلك سيكون هناك عقد شراكة مع بنك مصر ولبنان كي يتمكن المتعاملون بالقيام بإيداعات وسحوبات نقدية. هذا فضلاً عن توفر 78 ماكينة صراف آلي في لبنان.

وتأمل بلو في أن تكون انطلاقتها قوية في السوق اللبنانية، حيث أنه مع بداية العام 2026 ستوفر خدماتها على أكثر من 400 صراف آلي بالبلاد.

ويقف البلد على أعتاب استحقاقات اقتصادية هائلة تتمثل في الحفاظ على بعض المنجزات التي حدثت خلال الفترة الماضية، مثل سعر صرف الليرة المستقر، والتوازن المالي.

ويُعدُّ تفعيل قانون الفجوة المصرفية أمراً حاسماً لتحسين الوضع الاقتصادي، خاصةً بعد أن باءت المحاولات السابقة بالفشل في ظل عدم تمكن المشرّعين والمقرضين والبنك المركزي من الاتفاق على خطة لإعادة هيكلة النظام المصرفي.

السودان يكافح لتحصين اقتصاده المنهك بإصدار عملة جديدة

بورتسودان (السودان) - أصدر بنك السودان المركزي ورقتين نقديتين جديدتين إحداهما من فئة ألفي جنيه والأخرى من فئة 500 جنيه، وسط محاولات مضنية من قبل المسؤولين وصناع النقد لتحصين الاقتصاد المنهك بسبب تداعيات الحرب.

وتأتي الخطوة في سياق محاولات المركزي لضبط السوق النقدية، رغم استمرار التحديات الهيكلية التي تواجه الاقتصاد وتضرر معيشة السكان، وتأثر الأعمال التجارية والشركات بالوضع الراهن الذي تفجر قبل أكثر من عامين.

وقال البنك المركزي في بيان الخميس، أوردته وكالة الأنباء السودانية الرسمية، إن هذه الخطوة تهدف إلى "حماية العملة الوطنية، وتحقيق استقرار سعر صرفها، والمساعدة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي."

ولم يذكر البيان حجم السيولة التي سيتم ضخها في السوق المحلية (المناطق التي يسيطر عليها الجيش السوداني)، ومدى تأثير الخطوة على تحقيق الأهداف.

ومع ذلك يرى خبراء أن طباعة العملة دون وجود غطاء نقدي أو احتياطي من الذهب المنتج سوف تعمّق الأزمات الاقتصادية، وفقاً للنظريات المالية المعتمدة في هذا المضمار.

وسبق للمركزي أن أعلن في نوفمبر العام الماضي عن طرح عملات جديدة من هاتين الفئتين، بعد انتشار أوراق نقدية مجهولة المصدر أثرت سلباً على استقرار الأسعار وزادت السيولة النقدية خارج النظام المصرفي.

وفي ديسمبر الماضي أطلق عملية استبدال العملتين في عدة ولايات (محافظات)، أدت إلى زيادة السيولة النقدية وأثرت في استقرار الأسعار.

واستمرت العملية لمدة أسبوعين في ولايات شملت نهر النيل والشمالية والبحر الأحمر والقضارف وكسلا والنيل الأزرق وسنار والنيل الأبيض، في ظل تضرر القاعدة الصناعية والأنشطة التجارية والزراعية والرعوية، وتقلّص الإيرادات الحكومية.

وانتقد الكثير من السودانيين قرار حكومة الأمر الواقع في بورتسودان إصدار أوراق نقدية جديدة ومطالبة السكان بإيداع ما لديهم من الأوراق النقدية القديمة في البنوك.

> الخطوة هدفها حماية العملة وثبات سعر صرفها والمساعدة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي

ويرى المواطنون أن الحكومة لم تتخذ إجراءات واقعية ومناسبة في آجال تسمح بذلك، ما يفاقم الوضع المعيشي المتدهور أصلا وما يغذي الأزمة الإنسانية، في حين تظاهر العشرات رفضا للقرار وللمطالبة بتمديد آجال استبدال ما لديهم بالأوراق النقدية الجديدة. وفي حين بررت الحكومة القرار بزيادة جلب الأموال من مجتمع لا يتعامل مع البنوك إلى حد كبير، إلى داخل النظام المصرفي وحرمان قوات الدعم السريع من التدفقات المالية، رأى البعض أن القرار يهدف إلى ضخ أموال لآلة الحرب ودعم الجيش السوداني.

ويشهد النشاط الاقتصادي للبلاد انخفاضا متسارعا في قيمة العملة المحلية، وارتفاعا في معدلات التضخم بسبب الحرب المستمرة بين الجيش وقوات الدعم السريع منذ أبريل 2023.

ويندرج التدهور النقدي في سياق بالغ التعقيد، إذ سجلت العملة تراجعا غير مسبوق في السوق الموازية، حيث يصرف الدولار مقابل 3700 جنيه، بعد أن كان مستقرا نسبيا عند 570 جنيها قبيل اندلاع الحرب.

فيتش تؤكد قدرة المغرب على تحقيق أهداف التوازنات المالية

الرباط - أكدت أحدث تقييمات صادرة عن وكالة التصنيف الائتماني فيتش قدرة المغرب على الوفاء بأهداف التوازنات المالية، مشيرة إلى استقرار السياسات الاقتصادية والمالية التي اعتمدتها الحكومة في السنوات الأخيرة.

ويأتي هذا التقييم في وقت يسعى فيه المغرب لتعزيز الانضباط المالي، وتقوية الإيرادات العامة، وتحسين إدارة الدين العام، بما يعكس التزام الدولة بتحقيق نمو مستدام وضمان استقرار اقتصادي طويل الأمد.

ويُشير مشروع ميزانية عام 2026 إلى أن السلطات لا تنوي زيادة الإنفاق بشكل حاد استجابةً للاضطرابات الاجتماعية التي اندلعت في سبتمبر الماضي، بحسب تقرير نشرته فيتش على منصتها الإلكترونية الجمعة.

ومن شأن ذلك أن يُقلل من أحد مصادر المخاطر المالية التي حددتها فيتش عندما أكدت الوكالة تصنيف المغرب عند بي.بي+ مع نظرة مستقبلية مستقرة في سبتمبر.

وكانت احتجاجات سبتمبر الماضي هي الأكبر منذ احتجاجات 2011 و2012، لكن فيتش لا تعتقد أنها تُمثل تهديدًا كبيرًا للاستقرار السياسي.

وقد أدت التوترات الاجتماعية إلى مظاهرات متكررة على مدار العقد الماضي وسط ارتفاع مُستمر في معدلات البطالة، لاسيما بين شباب المدن، إلا أن الاستقرار السياسي ظلّ محفوظًا.

ويتوقع مشروع قانون المالية، المقدم إلى البرلمان في 20 أكتوبر، عجزًا في الميزانية بنسبة 3 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2026، بانخفاض عن نسبة 3.6 في المئة المتوقعة في ميزانية 2025.

وسينخفض إجمالي الإنفاق إلى 26.8 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي من 27.6 في المئة في الميزانية الحالية، مدفوعًا إلى حد كبير بضبط الإنفاق الجاري مع استقرار الإنفاق الرأسمالي المخطط له على نطاق واسع.

وسيأتي حوالي نصف الانخفاض المقترح في الإنفاق الجاري بنسبة 0.6 نقطة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي من فاتورة الأجور والنصف الآخر من مدفوعات فوائد الديون، وهي توقعات تبدو موثوقة.

> Fitch Ratings
> احتجاجات سبتمبر الأكبر منذ 2011 و2012، لكنها لا تُمثل تهديدًا كبيرًا للاستقرار السياسي

وينص اقتراح الميزانية على انخفاض طفيف في إجمالي الإيرادات، إلى 23.8 في المئة، من 24 في المئة المتوقعة لعام 2025.

وتتجه الحكومة إلى زيادة الإيرادات الضريبية بشكل طفيف في 2026، مدفوعة بزيادة قدرها 0.8 نقطة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي في عائدات ضريبة دخل الشركات، ما يعكس تدابير تعبئة الإيرادات.

ويرى خبراء فيتش أن ذلك سيُعوّض بانخفاض قدره نقطة مئوية واحدة من النمو الاقتصادي في الإيرادات غير الضريبية، مع تقليص الحكومة استخدام آليات التمويل المبتكر، والتي تتضمن عادةً بيع وإعادة تأجير أصول الدولة. وأتاحت تدابير التمويل المبتكر وسيلةً لتعويض انخفاض الإيرادات عن الميزانية أو ارتفاع الإنفاق عن المتوقع، مع إتاحة الوقت الكافي لتنفيذ الإصلاحات.

ومع ذلك، عادةً ما تكون التمويلات المبتكرة غير متكررة بطبيعتها، ولذلك تعتقد وكالة التصنيف أن الاعتماد بشكل أكبر على مصادر إيرادات أكثر استدامة سيعزز متانة ضبط أوضاع المالية العامة.

وتتوافق خطط ميزانية عام 2026 بشكل وثيق مع التوقعات السابقة التي نشرتها السلطات، فعلى سبيل المثال تشير توقعات لمدة ثلاث سنوات نُشرت أواخر عام 2024 إلى عجز بنسبة ثلاثة في المئة.

وهذا يشير إلى أن الاحتجاجات لم تؤثر بشكل كبير على الخطط المالية للحكومة. كما أن توقعات العجز قريبة من الافتراض الأساسي الذي وضعته وكالة فيتش في تقييمها لشهر سبتمبر.

ويفيد التقييم بأن عجز الحكومة سيبلغ في المتوسط 3.1 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة بين عامي 2026 و2027.

ولا تفترض الوكالة أي زيادة كبيرة في الإنفاق في أعقاب الاحتجاجات. ومن المتوقع أن يُبقي هذا الدين العام على مسار تنازلي ليبلغ 66 في المئة العام المقبل من 67 في المئة هذا العام.

ورغم ذلك سيبقى الدين العام للحكومة أعلى من متوسط الديون السيادية المصنفة ضمن فئة بي.بي بحوالي 52 في المئة خلال عام 2027.

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

«هنا إذاعة المملكة المغربية من العيون».. صوت رافق مسيرة التحرير منذ 50 عاما

جيل من الصحفيين المغاربة جعلوا من الكلمة رسالة ومن الميكروفون جبهة دفاع عن السيادة والوطن

إذاعة العيون ليست مجرد محطة إذاعية، بل هي ذاكرة وطنية حية، صوت استرجاع الأرض، وجسر بين الأجيال، ورمز للوحدة الترابية التي تحققت بإرادة شعب وتضحياته.

العيون (المغرب) - في الخامس والعشرين من ديسمبر عام 1975، انبعث صوت هادئ ولكنه قوي من قلب الصحراء المغربية، يعلن للعالم أجمع أن المملكة المغربية قد استعادت جزءًا عزيزًا من ترابها الوطني.

كان الصحفي محمد جاد، المذيع المخضرم الذي رافق المسيرة الخضراء بقلبه قبل صوته، يقف في غرفة مؤقتة داخل فندق برادور بالعيون، يمسك بالميكروفون ويعلن بكلمات بسيطة لكنها محملة بالتاريخ «هنا إذاعة المملكة المغربية من العيون، عاصمة الصحراء المغربية، تبث من مقرها الجديد في قلب الصحراء المسترجعة، تحت الراية الوطنية، وفي إطار الوحدة الترابية للمملكة المغربية الشريفة».

لم تكن هذه مجرد كلمات إذاعية، بل كانت لحظة ميلاد رمز وطني، أول إعلان رسمي للسيادة المغربية على الأقاليم الجنوبية بعد أسابيع قليلة من المسيرة الخضراء التي انطلقت في السادس من نوفمبر من العام نفسه.

وقبل هذه اللحظة التاريخية، كانت الإذاعة نفسها قد ولدت في ظروف استثنائية في مدينة طرفاية عام 1974 تحت اسم «إذاعة صوت التحرير والوحدة»، وكانت صوتًا إعلاميًا يدافع عن مغربية الصحراء في وجه الاستعمار الإسباني. لم يكن لدى الفريق سوى جهاز إرسال قديم من طراز «تيليفونكن» بقدرة عشرة كيلووات، يعمل على الأمواج المتوسطة بتردد ألف وسبعين كيلوهرتز، وسبعة أشخاص فقط يديرون البث من غرفة فندقية لا تكاد تتسع لهم، وسط انقطاع الكهرباء المتكرر واعتماد كلي على المولدات. ومع ذلك، نجحوا في إيصال صوت المغرب إلى أبعد نقطة في الصحراء، وبثوا نشرات أخبار بالعربية والحسانية والإسبانية، ليؤكدوا أن الوحدة الترابية ليست مجرد شعار، بل واقع يُسمع ويُعاش.

وبعد أقل من شهرين، وتحديدًا في الثامن والعشرين من فبراير عام 1976، تم التسليم الرسمي لمبنى الإذاعة في شارع مكة، الذي أصبح لاحقًا شارع الزرقطوني، وذلك تنفيذًا لاتفاقية مدريد التي وقّعها المغرب وإسبانيا وموريتانيا في نوفمبر السابق.

وتولى إدارتها آنذاك عبد الرحمان اليوسفي، الذي سيصبح لاحقًا رئيسًا للحكومة، وبدأت الإذاعة مرحلة جديدة من التوسع والتطوير. في الثمانينيات، أُضيف البث على الأمواج القصيرة ليصل إلى المخيمات والجاليات المغربية في الخارج، وفي منتصف التسعينيات، أصبحت أول إذاعة جهوية في المغرب تستخدم استوديوهات رقمية.

ومع حلول الألفية الجديدة، شهدت الإذاعة قفزة نوعية. في السادس من نوفمبر عام 2004، أُطلقت قناة العيون التلفزيونية كأول قناة جهوية في المغرب، وفي العام نفسه، أصبحت إذاعة العيون أول إذاعة جهوية تمتلك موقعًا إلكترونيًا رسميًا يتيح البث المباشر والاستماع عند الطلب. ثم جاء افتتاح المقر الحديث عام 2006 في شارع الزرقطوني، بمساحة ثلاثة آلاف متر مربع، مزودًا بأحدث التقنيات الصوتية والمرئية.

محمد ضاكة

كنا نعيش تعبئة وطنية غير مسبوقة. الصحراء قضية إيمان

ومع انتشار الهواتف الذكية، أُطلق تطبيق خاص عام ألفين وخمسة عشر، ثم انضمت الإذاعة إلى منصات التواصل الاجتماعي عام 2020، لتبث برامجها مباشرة على فيسبوك ويوتيوب، وتصل إلى ملايين المغاربة داخل الوطن وخارجه.

اليوم، وبعد خمسين عامًا على تلك اللحظة التاريخية، لا تزال إذاعة العيون الجهوية، التابعة للشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة، صوتًا حيًا للأقاليم الجنوبية. تبث برامجها بالعربية والحسانية والأمازيغية والإسبانية، وتقدم مزيجًا من الأخبار المحلية والثقافة الصحراوية والتراث الشعبي والموسيقى الحسانية والمغربية الأصيلة. من بين برامجها البارزة «صباحيات العيون» التي تبدأ اليوم بأخبار الجهة وتنتهي بأنغام الربع، و«أصوات من الرمال» الذي يحيي الشعر الحساني والقصص الشفوية، و«رسائل الصحراء» الذي يربط بين العائلات عبر الحدود.

وفي عام الذكرى الخمسين للمسيرة الخضراء، أعيد إصدار تسجيل صوت محمد جاد رقميًا بجودة عالية، ليبقى شاهدًا على لحظة لا تُنسى في تاريخ المغرب الحديث.

وفي حوار مع وكالة المغرب العربي للأنباء استعاد الصحفي المخضرم محمد ضاكة، أحد الأصوات التي واكبت تلك المرحلة، فصولا من حكاية إعلامية ووطنية صنعت لحظة تاريخية فارقة.

في أغسطس 1974، كان محمد ضاكة، البالغ من العمر آنذاك 27 سنة، قد التحق بالإذاعة الوطنية بعد تجربة صحفية في جريدة "العلم". جاء ذلك في سياق وطني استثنائي تميز بإعلان الملك الحسن الثاني سنة 1974 "عام التحرير والوحدة"، إيذانا ببدء تعبئة وطنية شاملة لاسترجاع الأقاليم الجنوبية.

فصول من حكاية إعلامية ووطنية

تكوينه السياسي والإعلامي المتأثر بفكر الزعيم الراحل علال الفاسي حول قضايا الوحدة والاستقلال، جعل من ضاكة صحفيا ملتزما يؤمن بأن الكلمة الحرة يمكن أن تكون سلاحا في معركة التحرير.

يقول ضاكة "كنا نعيش تعبئة وطنية غير مسبوقة. قضية الصحراء كانت بالنسبة إلينا قضية إيمان وكرامة. كنت أشعر أن واجبي هو أن أساهم بصوتي في تحرير الوطن ووحدته".

ورغم الإمكانيات المحدودة – جهاز تسجيل بسيط، معدات بث متواضعة، وحجرة صغيرة – إلا أن عزيمة الفريق كانت أكبر من كل الصعوبات. كان بنعيسى الفاسي يقدم النشرات، ومحمد ضاكة يعلق سياسيا على الأحداث، وبنعيسى حجي يتكفل بالجوانب التقنية، بينما كان محمد جاد يرسل تقارير ميدانية من طانطان.

وفي 16 أكتوبر 1975، صدر الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية الذي أكد الروابط القانونية بين المغرب وصحرائه، وأعقبه إعلان الملك الحسن الثاني عن تنظيم المسيرة الخضراء. يقول ضاكة "كنت أتمنى المشاركة بين صفوف 350 ألف متطوع، لكن قدري كان أن أبقى في الرباط لتنسيق البرنامج الذي تحول إلى نافذة يومية تعبئ الرأي العام وتواكب الحدث التاريخي".

ويضيف بنبرة يغلبها التأثر "تلك الأيام لا توصف بالكلمات. كانت المسيرة الخضراء تجسيدا لمعجزة الوحدة الوطنية".

أزمة في الإعلام السعودي عنوانها «الإعلامي المزيف»

الرياض - شهد المشهد الإعلامي السعودي نقاشاً حاداً حول أزمة «الإعلامي المزيف»، حيث أبرز إعلاميون كيف أن انتشار المنصات الرقمية سمح بدخول أفراد غير مؤهلين إلى عالم الإعلام، مما يجعل صاحب المعلومة الموثوقة يتساوى مع «المتطفل» الذي يروج لمحتوى مضلل أو تجاري بحت دون أي التزام مهني.

وجاء النقاش على خلفية قرار الهيئة العامة لتنظيم الإعلام الشهر الماضي بمنع الإعلامية روضة اليوسف والناشط نايف القحطاني من الظهور الإعلامي لمدة عامين، مع غرامة قدرها 500 ألف ريال سعودي لكل منهما.

أشارت الجهات المعنية إلى أن القرار جاء بعد رصد عدد من المخالفات المتكررة التي ارتكبها الطرفان من خلال بث محتوى غير مهني تضمن إساءة للآخرين، واستخدام عبارات نابية، وقذف علني، ونشر مواد هابطة بغرض تحقيق مشاهدات وأرباح مالية على حساب القيم المجتمعية، كما تبين أن المحتوى الذي قدماه يتنافى مع مبادئ الإعلام المسؤول ويتعارض مع الأنظمة التي تحظر التشهير أو الإساءة للأفراد عبر المنصات الإعلامية.

يأتي هذا الإجراء في إطار حملة وطنية موسعة تهدف لتنقية المشهد الإعلامي، و«ضمان أن تبقى المنصات الإعلامية السعودية منابر مسؤولة تعكس قيم الاحترام والمهنية والالتزام بالمعايير الأخلاقية»، وقد أكدت وزارة الإعلام أن العقوبات المفروضة تمثل رسالة واضحة لكل من يحاول استغلال الفضاء الرقمي للإساءة أو تحقيق مكاسب مالية بطرق غير مشروعة.

وأدت الطفرة في أعداد «الإعلاميين المزيفين» إلى زيادة التضليل ما أدى بدوره إلى فقدان الجمهور الثقة بالإعلام المحلي، حيث يعتمد 70 من السعوديين على وسائل التواصل للحصول على الأخبار دون التحقق من مصداقيتها.

ونقلت صحيفة «عكاظ» المحلية عن رئيس قسم الإعلام والاتصال بجامعة الملك خالد، علي زهير، قوله إن «أفضل مسمى على من يطلقون على أنفسهم إعلاميين أو إعلاميّات، دون انتسابهم لقنوات الإعلام الرسمية المتمثلة في المرئية والمسموعة والمقروءة، هو 'متسلقو الإعلام'»، وأضاف «إنهم أشخاص ليس لديهم معرفة بأصول العمل الإعلامي، ولم يتعلموا قوانين وأخلاقيات الإعلام، وليست لديهم خلفيات عن المجتمع ومطالباته ورغباته، فمحتويات هؤلاء الدخلاء مجرد تمثيل، وتصوير في سناب المناسبات أو أشخاص يعملون من أجل حصد الثناء أو كيل المدح والظهور على أكتاف الغير، وهدفهم الربح المادي من الإعلانات».

ويؤكد كاتب الرأي علي العكاسي «جميعنا نؤمن بالتحديث والتطوير والمتغيرات في كامل الأجهزة والمنظومات، والاتجاه الإعلامي جزء مهم في التحديث والتطوير الذي لا نختلف عليه، ولأنه كذلك فإنه كغيره من المؤسسات الرسمية لا يمكن أن يخضع للترف والتسلية أو يصبح مهنة مَن لا مهنة له على اعتبار أنه صوت ونافذة حقيقية تعكس حضارة الشعوب وتطورها في زمن الإعلام الرصين والمسؤول كانت المهنة الإعلامية مقننة ومنضبطة، ولن يجرؤ على تعاطي المهنة غير الموهوبين والمحترفين».

وأضاف العكاسي «لن يقدّم لنا هؤلاء المادة الإعلامية الرصينة إذ ظل هذا المجال بوابة مفتوحة ومشرعة لكل من هب ودب، وأفضى ذلك إلى المزيد من الانهيار في مصداقيته ومهنيته».

وترى صحيفة الوطن السعودية أن «معركة الوعي اليوم ليست بين الإعلام التقليدي والجديد، بل بين الإعلام الحقيقي والمزيف. فالإعلامي الحقيقي هو من يقرأ ما وراء الترند، ويفكك مصادره، ويفضح أدوات التلاعب بالرأي العام. أما المواطن الواعي، فهو الذي لا يمنح المنصات المجهولة شرعية الجدل، ويدرك أن الكلمة قد تشعل فتنة أو تُطفئها».

وكانت الهيئة العامة لتنظيم الإعلام في السعودية أعلنت عن إصدار ضوابط جديدة للمحتوى الإعلامي تشمل منصات الإعلام التقليدي ووسائل التواصل الاجتماعي، بهدف ضبط السلوكيات الإعلامية وضمان انسجامها مع القيم المجتمعية والهوية الوطنية.

حملة موسعة لتنقية المشهد الإعلامي

المؤثر الإسرائيلي أفي غولدمان سفير غير رسمي للتطبيع في سوريا ولبنان

بيروت - أثار أفي غولدمان، المغامر الإسرائيلي الذي يُعرف بنفسه كمسافر عالمي يسعى لزيارة كل دولة على وجه الأرض، جدلا واسع في وسائل التواصل الاجتماعي، خاصة بعد رحلاته الأخيرة إلى سوريا ولبنان، حيث تجول بحرية بين الشوارع الدمشقية والمناطق اللبنانية كأنه في نزهة عادية، وفق ما قال معلقون، محتفلاً بهويته اليهودية الإسرائيلية أمام الكاميرات.

غولدمان، الذي بدأ رحلاته منذ عام 2010 ويحمل جواز سفر إسرائيلياً، زار حتى الآن أكثر من 109 دولة. وغولدمان، كما تقدّمه وسائل الإعلام العبرية، يهودي إسرائيلي من أصول حريدية، اشتهر كـ«رحّالة» يوثّق عبر يك توك وإنستغرام زيارته لعشرات الدول، بما فيها دول تُصنف كـ«دول عدوّة» مثل إيران والعراق وسوريا والسودان وأفغانستان وغيرها.

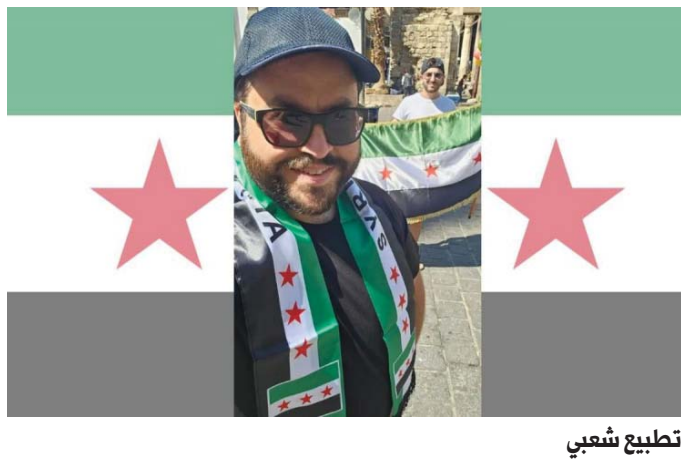

تطبيع شعبي

وترسم الصحف والمواقع الإسرائيلية لغولدمان صورة الشاب الذي «يكسر الحدود» مستخدماً جوازات سفر أجنبية إلى جانب جنسيته الإسرائيلية، ويتباهى بخوض مغامرات في أماكن يعتبرها «خطرة» على الإسرائيليين.

وفي سوريا تحديداً، وصف السوريين بأنهم «يبعثون حباً كبيراً لإسرائيل»، حيث «احتضنه الناس وأعطوه الحلوى»، بل وقال «إنهم يتمنون عودة اليهود ذوي الأصول السورية»، وهو ما حدث في لقاء خاص مع أحد آخر يهود دمشق المتبقين، مما يجعله يبدو كسفير غير رسمي للتطبيع في مناطق كانت تشهد توترات سياسية شديدة بعد سقوط نظام بشار الأسد.

قال لموقع «والا»، «أعلنتُ للجميع تقريبًا أنني يهودي وإسرائيلي، ولم أتلقَ سوى ردود فعل إيجابية».

وتابع غولد حديثه مستذكرًا كيف التقى بالعديد من السوريين الذين لم يلتقوا بيهودي من قبل، وكيف انهمرت دموعهم من التجربة الجديدة.

قارن تجاربه في سوريا بتلك التي عاشها في دول إسلامية أخرى، بما في ذلك أفغانستان وباكستان وبنغلاديش وبروناي.

ومن أبرز لحظات غولد الشخصية زيارة مجموعة صغيرة من اليهود المولودين في سوريا، والذين فروا من البلاد عام 1994، في كنيس يهودي قديم في دمشق. بعد إغلاق الكنيس لعقود، أُعيد فتح أبوابه، مما سمح للمجموعة بإقامة صلاة في داخله.

تتطلب صلوات اليهود الأرثوذكس واليهود التقليديين حضور عشرة رجال بالغين لتكوين النصاب القانوني. الجالية اليهودية المحلية في دمشق صغيرة جدًا على عقد مثل هذه التجمعات.

أما في لبنان، فقد أثار غولدمان جدلاً إضافياً بلقطات سيلفي مع جندي من الجيش اللبناني، مما يُفسر من قبل البعض كدليل على تغيرات في المواقف المحلية تجاه الإسرائيليين، خاصة بعد التوترات الحدودية والحرب مع حزب الله، لكن آخرين يرونه مجرد استغلال للحظة لجذب المشاهدين.

ويعتمد غولدمان على منصات مثل تيك توك وإكس لنشر محتواه، حيث يجمع آلاف المتابعين، محولاً نفسه إلى نجم إنترنت يروج لصورة إيجابية عن إسرائيل في الشرق الأوسط، رغم الاتهامات له بأنه يخفي هويته في أوروبا خوفاً من معاداة السامية هناك بينما يفخر بها في الدول العربية، مما يجعله هدفاً للانتقادات من الجانبين.

وتحظر القوانين اللبنانية، المستندة إلى نظام مقاطعة إسرائيل والقرارات ذات الصلة، دخول حاملي الجنسية الإسرائيلية والتعامل معهم، كما تجرّم أي شكل من أشكال التطبيع المباشر.

وفي فيديو نشره على حسابه في إكس، يظهر غولدمان واقفاً على كورنيش الروشة يلقي التحية بالعبرية ويصف المدينة بـ«الجميلة والمضيافة»، وفي الفيديو المتداول، الذي تناقلته وسائل إعلام عبرية ومنصّات قريبة من اليمين الإسرائيلي، يسمع غولدمان وهو يقول بالعبرية «أنا موجود الآن في مارينا بيروت في لبنان، أنظروا ما أجمل هذا المكان»، قبل أن يضيف «الدولة الأقرب إلى إسرائيل، لكن في الوقت نفسه الأبعد عن السائح الإسرائيلي».

وتُظهر اللقطات مرسى يخوت وممشى بحرياً يتطابق بصرياً مع منطقة زيتونة باي في وسط بيروت.

وعبر ناشطون لبنانيون عن غضبهم واتهموه بأنه «جاسوس يختبر ضعف السيطرة الأمنية» وقال آخرون إنها «دعاية صهيونية تتسلل تحت غطاء السياحة».

وقال ناشط:

@AbdlhKamh

الـ«تيكتوكر» الإسرائيلي، أفي غولدمان، ينشر فيديو له من بيروت أثناء تجوله بالـ«زيتونة باي»، ويقول بأنه يوم جميل...! الغزو الإسرائيلي التطبيعي بدأ...

في مقابلة حديثة مع موقع «والا» بعد رحلته إلى سوريا، أقرّ غولد بأنه تابع من هناك إلى لبنان، من دون الخوض في تفاصيل علنية حول طريقة دخوله.

وامتد الجدل إلى وسائل الإعلام اللبنانية التي تساءلت فيه عن كيفية دخوله ومن أين؟

ويعتقد محللون أن زيارات غولدمان جزء من حملة أوسع لترسيخ صورة «التطبيع الشعبي» في المنطقة، خاصة أن غولدمان يدافع عن نفسه في تغريداته بأنه «مسافر يبحث عن السلام بين الشعوب» ويروج لمحتوى يظهر احتضاناً من بعض اللبنانيين.

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

إعادة تموضع تعيد إلى سوريا بعضًا من شرعيتها الدولية

علي قاسم
كاتب سوري

في خطوة مفاجئة حملت دلالات إستراتيجية عميقة، أعلنت الحكومة السورية انضمامها رسميًا إلى التحالف الدولي لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وذلك قبل أيام من زيارة مرتقبة للرئيس أحمد الشرع إلى واشنطن في شهر نوفمبر الجاري. هذا الإعلان، الذي جاء بعد أكثر من عقد من القطيعة بين دمشق والعواصم الغربية، يفتح الباب أمام إعادة تعريف موقع سوريا في النظام الإقليمي والدولي، ويطرح أسئلة جوهرية حول دوافع هذا التحول وتداعياته المحتملة على الداخل السوري وعلى توازنات المنطقة.

منذ تأسيس التحالف الدولي في عام 2014، بقيت سوريا خارج مظلته السياسية، رغم أن أراضيها كانت من أكثر الساحات دموية في الحرب ضد داعش. أكثر من 100.000 قتيل سقطوا في المعارك ضد التنظيم داخل سوريا، بحسب تقديرات مراكز الأبحاث الدولية، فيما أسهم التحالف في استعادة نحو 80 في المئة من الأراضي التي كان يسيطر عليها التنظيم، خاصة في الرقة ودير الزور. ومع ذلك، بقيت دمشق معزولة، تخوض حربها الخاصة، وتواجه عقوبات دولية خانقة، وتُستثنى من أي تعاون استخباراتي أو عسكري مع القوى الغربية.

انضمام سوريا إلى التحالف الدولي يُعيد تعريف موقعها في النظام الإقليمي، لكنه لا يضمن الاستقرار دون إصلاحات داخلية حقيقية

اليوم، يبدو أن سوريا تسعى إلى قلب هذه المعادلة. فبعد سقوط نظام بشار الأسد وتشكيل حكومة انتقالية جديدة، تبرز الحاجة إلى إعادة تموضع سياسي وأمني تعيد إلى سوريا بعضًا من شرعيتها الدولية، ويفتح الباب أمام شراكات جديدة في ملفات الأمن والاقتصاد وإعادة الإعمار. لكن هل يمثل هذا الانضمام تحولًا إستراتيجيًا حقيقيًا؟ أم أنه مجرد خطوة تكتيكية تهدف إلى رفع العزلة دون تغيير جوهري في بنية القرار السوري؟ وفقًا لتقارير إعلامية عربية ودولية، فإن الزيارة المرتقبة للرئيس الشرع إلى واشنطن في 10 نوفمبر/تشرين الثاني 2025 ستكون الأولى لرئيس سوري منذ عقود، وتهدف إلى توقيع اتفاق رسمي للانضمام، مع بحث مسألتيْ رفع العقوبات ومكافحة الإرهاب.

وتتوزع دوافع الانضمام بين الحاجة واقتناص الفرصة. فمن منظور داخلي، يبدو أن الحكومة السورية الجديدة تدرك أن ملف إعادة الإعمار لا يمكن أن يتحرك دون انفتاح على المؤسسات الدولية، وعلى رأسها صندوق النقد والبنك الدوليين. الانضمام إلى التحالف الدولي يمنح دمشق فرصة لإعادة بناء الثقة مع الغرب، وفتح قنوات تمويل ومساعدات مشروطة بالتعاون الأمني. كما أن التهديدات الأمنية لا تزال قائمة، إذ تشير تقارير استخباراتية إلى نشاط خلايا نائمة لداعش في البادية السورية، وفي مناطق التماس مع العراق. التعاون مع التحالف يمنح سوريا أدوات استخباراتية وتقنية يصعب الوصول إليها منفردة، كما أكد وزير الخارجية السوري، أسعد الشيباني، في منتدى حوار المنامة، حيث أشار إلى أن ملف إعادة الإعمار سيكون محور الزيارة.

لكن الدافع الأهم قد يكون سياسيًا. فزيارة الرئيس الشرع إلى واشنطن ستكون الأولى لرئيس سوري إلى الولايات المتحدة منذ زيارة بشار الأسد الأخيرة في عام 2000، وتحمل رمزية كبيرة، وتُعد مؤشرًا على رغبة دمشق في إعادة تعريف علاقتها مع الولايات المتحدة، وربما التمهيد لمفاوضات أوسع تشمل ملفات الحدود واللاجئين والعقوبات. في هذا السياق يبدو الانضمام إلى التحالف خطوة محسوبة تهدف إلى كسر الجليد دون تقديم تنازلات جوهرية في الملفات الحساسة، كما أفادت تقارير أكدت أن الزيارة ستشمل مناقشات حول رفع العقوبات مقابل تعزيز التعاون الأمني.

انضمام سوريا إلى التحالف الدولي لا يُقرأ فقط في سياق العلاقات الثنائية مع واشنطن، بل ينعكس مباشرة على توازنات المنطقة. فإسرائيل، التي خاضت مواجهات غير مباشرة مع دمشق عبر الجبهة الجنوبية، قد ترى في هذه الخطوة فرصة لتأسيس تفاهمات أمنية جديدة، خاصة في ملف الجولان والحدود الشمالية. وتشير تسريبات دبلوماسية إلى استعداد واشنطن لرعاية جولة خامسة من المفاوضات المباشرة بين سوريا وإسرائيل، وهو ما قد يُحدث تحولًا جذريًا في طبيعة الصراع التاريخي بين الطرفين.

أما تركيا فتنظر إلى التحالف الدولي من زاوية مختلفة، خاصة في ظل التعاون الأميركي – الكردي في شمال سوريا. انضمام دمشق إلى التحالف قد يُعزز موقع القوات الكردية، ويُضعف النفوذ التركي في المناطق الحدودية. هذا قد يدفع أنقرة إلى إعادة تقييم إستراتيجيتها في سوريا، وربما إلى تصعيد دبلوماسي أو ميداني إذا شعرت بأن مصالحها مهددة، كما يحذر محللون في مركز كارنيغي، الذي أشار إلى أن هذا التحول قد يعيد إشعال التوترات الحدودية مع تركيا.

في المقابل، يُثير هذا التحول قلقًا في طهران وموسكو، الحليفين التقليديين لدمشق. فدخول سوريا في تحالف تقوده واشنطن قد يُضعف نفوذ إيران العسكري والسياسي، ويُربك حسابات روسيا في ملف الطاقة والموانئ. هل نشهد إعادة تموضع إقليمي؟ أم تصعيدًا خفيًا بين القوى المتنافسة على الأرض السورية؟ تقارير عديدة صدرت مؤخرًا تشير إلى أن الانضمام مرتبط بجهود أميركية لمعالجة ملف قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، ما قد يؤدي إلى دمجها في الجيش السوري أو تهميشها، في خطوة تضعف الإدارة الكردية وتعزز الوحدة السورية.

بين إعادة الإعمار والتدخلات الجديدة، يُمكن لانضمام سوريا إلى التحالف أن يُسرّع وتيرة إعادة الإعمار، خاصة إذا اقترن برفع تدريجي للعقوبات وفتح قنوات التمويل الدولية. لكن هذا الانفتاح يحمل في طياته مخاطر التدخلات الأجنبية، سواء عبر شروط سياسية تُفرض على الحكومة السورية، أو عبر إعادة تشكيل البنية الأمنية بما يتماشى مع مصالح القوى الكبرى. في هذا السياق، يُحذّر بعض الخبراء من أن التحالف قد يتحول إلى أداة لإعادة هندسة الدولة السورية بدلًا من دعمها. مركز كارنيغي، في تحليله الأخير، أشار إلى أن انضمام سوريا إلى التحالف لا يضمن الاستقرار، بل قد يُعيد إنتاج التبعية إذا لم يُقترن بإصلاحات داخلية حقيقية تشمل العدالة الانتقالية وإعادة هيكلة الأجهزة الأمنية وتأسيس عقد اجتماعي جديد.

مصافحة فسرت كل ما سيأتي لاحقا

التحالف الدولي قد يكون بوابة للخروج من العزلة لكنه ليس ضمانة، فالمستقبل السوري يُكتب بين العواصم الكبرى وفي شوارع المدن

انضمام سوريا إلى التحالف الدولي ضد داعش يُعد خطوة جريئة، تحمل في طياتها فرصًا حقيقية للخروج من العزلة، وإعادة بناء الدولة على أسس جديدة. لكنها في الوقت ذاته تُثير أسئلة جوهرية حول طبيعة هذا الانفتاح وحدوده ومآلاته. هل تُعيد سوريا تعريف موقعها في النظام الدولي؟ أم تُستدرج إلى مرحلة جديدة من التبعية والتدخلات؟ النجاح في هذه المرحلة لا يعتمد فقط على التحالفات الخارجية، بل على قدرة سوريا على الإصلاح الداخلي، وبناء دولة مدنية تعددية تُعيد الاعتبار للمواطنة، وتُحصّن البلاد من الانقسامات التي مزقتها لعقد كامل.

المستقبل السوري يُصاغ الآن، في العواصم الكبرى، في انتظار أن تعاد صياغته في شوارع المدن السورية التي تنتظر إعادة الإعمار، وإعادة بناء الثقة. التحالف الدولي قد يكون بوابة، لكنه ليس ضمانة.

زهران ممداني... المرآة التي أحرجت بلداننا

حميد زناز
كاتب جزائري

كان زهران ممداني، قبل عام فقط، شبه مجهول. شاب في الرابعة والثلاثين من عمره، مغني راب سابق باسم "مستر كاردامو"، تجوّل بين الناس يطرق الأبواب، ويتحدث إلى عمّال الليل والمصلين عند أبواب الكنائس، حاملًا شعارًا بسيطًا: "القدرة على التحمّل"، أي جعل الحياة ممكنة في مدينة جعلتها السوق مستحيلة. استلهم خطابه من روسو، ومن وعي فانون بالعنف البنيوي للسلطة، وكانت أطروحته عن هذين المفكرين بالذات. وربما استلهم أفكاره من الفيلسوف هنري لوفيفر، الذي رأى أن الحق في المدينة هو حق في الكرامة قبل أن يكون حقًا في السكن. وكأن ممداني جاء ليذكّر السياسة بأنها ليست إدارةً للأزمة فقط، بل مقاومة للبؤس الإنساني أيضًا.

عندما يكون المرء شخصيةً عامة ويُبرز إسلاميّته، فإنه يكون بالضرورة ذا نزعة إسلامية، لأن من يستحضر المخيال الإسلامي في خطابه، إنما يقرّ به ويلتزم تلقائيًا بالتقيّد به. فما القصة مع زهران ممداني؟

هل هو إسلامي فعلاً، أم أنه، من خلال حديثه العلني عن الإسلام وتبنيه بعض المواقف التاريخية للإسلاميين، كدعمه غير المشروط لحماس ورفضه نزع سلاحها، والتقاطه صورًا مع متشددين معروفين... يسعى فقط إلى استغلال الناخبين المسلمين في نيويورك لأغراض انتخابية؟

عندما نتمعن في مسيرته كمغنٍ، ونراه يلتقط صورًا مع زوجته الأنيقة مرتديةً فستانًا مفتوح الصدر، تصعب مقارنته بالمتشددين المنتشرين في العالم الإسلامي، الذين يرون أن الموسيقى محرّمة وأن الحجاب فرض على النساء. ولكن، ألا تكون هذه هي إستراتيجية الإخوان المسلمين بالضبط، أي "التقية"، التي تقوم على الذوبان في ثقافة الآخر والتغلغل فيها بصبرٍ حتى ابتلاعها من الداخل؟

كيف لمدينة نيويورك، التي هزّتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والتي تُعدّ عاصمة الرأسمالية في العالم وموطنًا لأكبر جالية يهودية خارج إسرائيل، أن تنتخب ابن مهاجرين هنديين مسلمين عمدةً لها؟ ولكن لم يكن المهاجران كبقية الهاربين من الفقر والجهل في أوطانهم؛ فالأب أستاذ جامعي مرموق في علم الأنثروبولوجيا، والأم مخرجة سينمائية معروفة. فهل تعيش نيويورك لحظة تعب وجودي وتبحث عن معنى جديد للحياة في زمن تآكل المعنى؟

لم يكن فوز زهران ممداني حدثًا انتخابيًا عابرًا، بل إشارة إلى تحوّل أعمق في وعي بعض الغرب بذاته، وربما في رؤية الغير له. هذا الغرب، الذي اعتاد المسلمون رؤيته ككيان متماسك صلب، يكشف من جديد عن انقسامه الداخلي، عن صراعه المستمر بين رأس المال والعدالة، بين الامتياز الاجتماعي وحقّ التمثيل، بين ذاكرة الهيمنة وحلم المساواة.

ومع ذلك، ففوز زهران ممداني لا يُفهم إلا في سياق التحولات الكبرى التي يشهدها الغرب. فلئن جسّد دونالد ترامب النزعة الليبرالية المتطرفة، فهل يمثل ممداني ردًا إنسانيًا على تغوّل المال، وإحياءً للإيمان بأن السياسة يمكن أن تكون فعلًا أخلاقيًا؟ لقد لعبت الحرب على غزة دورًا حاسمًا في ترجيح كفته، إذ مثّل خطابه الناقد لإسرائيل صدىً لضمير جمعيٍّ غربي بدأ يستيقظ على تناقضاته. ملايين الشباب الأميركيين وجدوا في ممداني الرجل الذي حقق محليًا ما لم يحققه برني ساندرز وطنيًا، وجدوا فيه صوتًا يعيد لهم شعورهم بالإنسانية المفقودة وسط تصاعد قوة دونالد ترامب.

قد يكون مشروعه مؤلمًا لقطاع واسع من سكان نيويورك البسطاء، إذ رفع الضرائب على الأثرياء وجمّد الإيجارات. وإن بدا مثاليًا في إعادة نغمة الأخلاق إلى الاقتصاد، واعتبار الازدهار مشاركة في الثروة لا مراكمة لها، فقد يطرح إشكاليات كبيرة؛ فالكل يعرف أن رأس المال جبان، وقد يهرب إلى أماكن أخرى ويحرم المدينة من مداخيل ضرائب بالملايين، علاوة على الحصار الذي قد يفرضه الرئيس الأميركي على "نيويورك الشيوعية".

ولكن، رغم هذا وذاك، تبقى الديمقراطية أفضل نظام ممكن؛ فهي في تطور دائم، تجدد نفسها بنفسها، وتعيد إنتاج توازنها عبر التناقض.

أما في بلداننا فنقف أمام المرآة ولا نجرؤ على النظر. نفرح بفوز مسلم في الغرب، ونرفض أن يحكمنا مسيحي في بلادنا. نحتفل بالتعددية هناك ونلعنها هنا. نطالب بحرية التعبير عندهم ونحاصرها عندنا. ننتشي بمراجعاتهم النقدية ونرتعب من فكرة نقد الذات. نعاير الغرب بتناقضه، فيما تناقضنا أكثر فجاجة: نطلب من الآخر أن يتحرر كي نظل نحن شبه عبيد.

لم يكن فوز زهران ممداني حدثًا انتخابيًا عابرًا بل إشارة إلى تحوّل أعمق في وعي بعض الغرب بذاته وربما في رؤية الغير له

رد إنساني على تغوّل المال

لبنان... السلاح أهم من زوال الاحتلال!

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

أخيرا، وجد بين كبار المسؤولين اللبنانيين من يردّ على البيان اللامنطقي الذي صدر عن "حزب الله"، وهو بيان يرفض فيه أي مفاوضات مع إسرائيل. يرفض الحزب المفاوضات من أجل تبرير بقاء الاحتلال الإسرائيلي لخمسة مواقع في جنوب لبنان. يبحث الحزب في الواقع عن مبرّر للاحتفاظ بسلاحه من منطلق أن السلاح أهمّ من زوال الاحتلال. لم يتخلّ الحزب يوما عن فكرة أن الانتصار على لبنان ومنعه من ممارسة ثقافة الحياة أهمّ بكثير من الانتصار على إسرائيل.

من ردّ على "حزب الله" كان رئيس مجلس الوزراء نواف سلام. ردّ بقوله "قرار الحرب والسلم استردته الحكومة اللبنانية". أراد بذلك تأكيد أنّ مصلحة لبنان في زوال الاحتلال وليس في استمراره كما يريد الحزب الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني.

المطروح لبنانيا ليس مجرد الدخول في مفاوضات مع إسرائيل مقدار ما إن المطروح إعطاء بعد سياسي ومعنى لهذه المفاوضات بعيدا عن الشكل وعن اعتبارات من النوع المضحك المبكي

قبل ردّ نواف سلام، صدر عن رئيس الجمهورية جوزيف عون كلام يشير إلى أن لبنان يريد بالفعل تفادي الكارثة المركبة التي يبدو مقبلا عليها... بدل الاستسلام للقوى التي تريد حرمانه من حقّه في الحياة. الكلام الذي قاله رئيس الجمهورية عن التفاوض مع إسرائيل، التي لم يسمّها، ليس جديدا. الجديد التركيز على أن "لا خيار آخر غير التفاوض". إنّه كلام جميل ومنطقي، لكن كيف ترجمته على أرض الواقع في ظلّ ظروف داخليّة وإقليمية في غاية التعقيد.

يعبّر عن هذه الظروف شبه العزلة العربية التي يعيش في ظلّها لبنان من جهة، ونوع من الازدراء الأميركي له من جهة أخرى. ليس ما يؤكّد هذا الازدراء أكثر من استعداد الرئيس دونالد ترامب لاستقبال الرئيس السوري أحمد الشرع في واشنطن في العاشر من الشهر الجاري. سيكون الشرع أوّل رئيس سوري يستضيفه البيت الأبيض منذ استقلال سوريا في العام 1946. كان الشرع في الرياض حديثا وكان موضع ترحيب سعودي لافت بحضور الأمير محمّد بن سلمان وليّ العهد السعودي في ظلّ غياب لبناني لافت. إنّه سبب كاف كي يفكّر لبنان، على أعلى المستويات، في كيفية إيجاد موقع له على الخارطة السياسية للمنطقة بدءا بمعرفة ما تريده إسرائيل فعلا غير الانتهاء من سلاح الحزب.

إضافة إلى ذلك كلّه، لم يكن وقع كلام المبعوث الأميركي توم برّاك إلى سوريا ولبنان سهل الابتلاع. كان تعبيرا عن معاناة ذات طابع شخصي لبرّاك نفسه مع طبيعة المهمة التي أوكلت إليه في بلد تعود أصوله إليه. كذلك، كان قوله إن لبنان "دولة فاشلة" بمثابة فقدان أمل بأي مسعى يمكن أن تقوم به أميركا من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من لبنان. اكتشف برّاك أن لا تجاوب لبنانيا مع أي إصلاحات ولا استيعاب لأهمّية نزع "حزب الله" لسلاحه بطريقة أو بأخرى.

ربما كان توقيت صدور كلام الرئيس جوزيف عون بالصدفة، وربما كان أمرا مقصودا أن يصدر الكلام عن "خيار التفاوض"، كونه لا يوجد بديل منه، في الثالث من تشرين الثاني – نوفمبر 2025، يوم توقيع اتفاق القاهرة المشؤوم في العام 1969. هل أراد رئيس الجمهوريّة القول إن لبنان تعلّم من درس توقيع اتفاق القاهرة؟

كان الاتفاق – الجريمة فعل إلغاء لبناني من جانب واحد لاتفاق الهدنة مع إسرائيل الذي ضمن هدوءا في جنوب لبنان بين 1949 و1968، حين بدأ مسلحون فلسطينيون يتسلّلون إلى جنوب لبنان لتنفيذ عمليات في الجانب الآخر من خطّ الحدود. يطالب لبنان حاليا، بين حين وآخر، بالعودة إلى اتفاق الهدنة كأنّ اتفاق القاهرة كان مجرّد حادث عابر... أو خطأ مطبعي يمكن إصلاحه بجرّة قلم!

من حسن الحظ أن رئيس مجلس الوزراء نواف سلام ردّ على الكلام اللامنطقي الذي خرج به قبل أيام "حزب الله" رافضا أيّ مفاوضات مع إسرائيل. قال سلام "قرار الحرب والسلم استردته الحكومة اللبنانية وما حدا له كلام بالموضوع". يفترض إيجاد ترجمة لهذا الكلام، بمعنى أن يؤكّد لبنان على أعلى مستوى أنّ احتفاظ "حزب الله" بسلاحه هو الطريق الأقصر لبقاء الاحتلال الإسرائيلي المستجد لأراض في جنوب لبنان.

كيف منع حملة عسكريّة إسرائيلية جديدة على لبنان؟ كيف ضمان انسحاب إسرائيلي من الجنوب؟ كيف عودة أهل القرى المدمّرة إلى أرضهم تمهيدا للسعي إلى إعادة إعمار هذه القرى؟ من الطرف المستعد للمساهمة في إعادة الإعمار بوجود سلاح الحزب وفي غياب سلام مع إسرائيل؟ لا توجد جهة عربيّة أو دوليّة على استعداد لذلك. كل ما تبقى نشاط ذو طابع فولكلوري تقوم به جهات لبنانيّة لا أكثر...

من هذا المنطلق، المطروح لبنانيا ليس مجرّد الدخول في مفاوضات مع إسرائيل، مقدار ما إن المطروح إعطاء بعد سياسي ومعنى لهذه المفاوضات بعيدا عن الشكل وعن اعتبارات من النوع المضحك المبكي عن تفادي مشاركة أي سفير أو وزير في الوفد اللبناني. هل المظاهر أهمّ من المضمون أمّ المطلوب في نهاية المطاف التوصّل إلى نتائج ملموسة تتوّج بتحقيق الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب وعودة المهجرين إلى قراهم؟

بعيدا عن الاعتبارات التي يسميها بعضهم "وطنيّة"، يظل مهمّا السعي إلى تحقيق نتائج. النتائج وحدها كفيلة بإعطاء معنى لكلام رئيس الجمهورية بدل الدوران في حلقة مقفلة. إنّه دوران يجعل البلد يدور على نفسه.

لن يساعد أحد لبنان إذا لم يساعد نفسه. يبدأ لبنان بمساعدة نفسه عبر التعاطي مع الواقع كما هو. يقول الواقع إنّ البلد كلّه يدفع حاليا ثمن فتح الحزب، ومن خلفه إيران، جبهة جنوب لبنان في الثامن من تشرين الأوّل – أكتوبر 2023 في ما سمّي "حرب إسناد غزّة". يوجد ثمن لا مفرّ من دفعه، لا لشيء سوى لأن الحزب لم ينتصر في تلك الحرب، بل لحقت به هزيمة ساحقة ماحقة لا يغطيها التمسّك بشعارات من ماض مضى.

قرار الحرب والسلم بيد الحكومة اللبنانية وحدها

المسيرة الخضراء: ملحمة العرش والشعب لترسيخ الوحدة والسيادة

البرّاق شادي عبدالسلام
كاتب وباحث مغربي

المسيرة الخضراء هي ملحمة إنسانية كبرى تجسّد عبقرية الشعب المغربي وقدرته على الخلق والإبداع، وانحيازه إلى مبادئ السلم والسلام العالمي في زمن الأقطاب الأيديولوجية، والعنف المسلح، والمواجهات العسكرية المفتوحة. لقد نجحت المسيرة في استرداد الأرض والحفاظ على شرف الأمة وتاريخها المجيد، دون أن تُسفك قطرة دم واحدة فوق ترابها المقدس، أو تُطلق رصاصة واحدة غادرة على أكثر من 350 ألف مغربي لبّوا، بنظام وانتظام، نداء أب الأمة القائد الرمز، المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني، من أجل تنظيم مسيرة شعبية شاركت فيها كل مكونات الأمة المغربية، في ظل الإجماع الوطني، ووفود مؤمنة بعدالة القضية من مختلف دول المعمور.

تحوّل هذا الإنجاز التاريخي الكبير إلى عرس وطني حضاري عالمي، تناقلته وسائل الإعلام الدولية، وتابعته الدوائر الفاعلة، وعلّم الإنسانية جمعاء أرقى معاني ارتباط الشعوب بقيادتها، وقدّم للعالم أعظم صور إيمان الشعوب بالسلام. وهو ما أكده الملك الراحل الحسن الثاني، في خطاب النداء الأول للمسيرة الخضراء بتاريخ 10 تشرين الأول – أكتوبر 1975: "شعبي العزيز، قد تبادلت أنت والعرش العلوي المجيد الوحي مرارًا؛ مواقفك أوحت للعرش انتفاضات، وأحاسيس وتقييمات ملوكك أوحت لك بأعمال، ودائمًا هكذا شعبي العزيز كنا نصدر لبعضنا البعض من أين تمر طريق الكرامة، وطريق الانتصار، وطريق الاعتزاز بالمغربية."

المملكة المغربية تصدّت لمشاريع الهدم والتقسيم من خلال مواجهة عسكرية ودبلوماسية مفتوحة مع الأدوات الانفصالية ومموليها وداعميها طوال عقود بعد استنفاد كل الجهود السياسية لبناء أسس سلام دائم

لكي نضع حدث المسيرة الخضراء في سياقها الحقيقي كملحمة إنسانية ستبقى مصدر فخر واعتزاز لكل مغربي ومغربية عبر التاريخ، فقد جاءت كردّ إنساني من أرض مقدسة، وشعب عظيم، وملك يمتلك كل مواصفات الشخصيات التاريخية الكبرى، بعد عقود عاشها العالم في الحروب والقتل والدمار. انطلقت رسالة المسيرة الخضراء بعد عقدين من نهاية الحرب العالمية الثانية، بدمارها الكبير وجرحها الغائر في خاصرة التاريخ الإنساني المعاصر، وبجرائم الحرب التي ارتكبت خلالها في حق الإنسانية، وبشكل متزامن مع حرب فيتنام التي عرفت مآسي كبرى، وبعد سنتين من حرب أكتوبر، وأقل من عقدين على انتفاضات الاستقلال المسلحة وحروب التحرر في إفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية.

كان المزاج العالمي بحاجة إلى واحة سلام، إلى حدث إنساني يعيد للإنسانية روحها وحقيقتها، فكانت المسيرة الخضراء جوابًا إنسانيًا في عالم الأقطاب الجيوسياسية والتدافع الأيديولوجي المجنون، الذي دفع ثمنه ملايين الأبرياء والمدنيين في مختلف دول المعمور.

واحة السلام التي بشّرت بها قيم المسيرة الخضراء، جاءت بعد الرأي الاستشاري القانوني لمحكمة العدل الدولية في لاهاي، الذي أكد على الروابط الدينية والشرعية والسياسية المتينة بين العرش العلوي المجيد وساكنة الأقاليم الجنوبية. وقد استهدفتها قوى إقليمية، ممثلة في الفكر التوسعي وقوى متحالفة من المعسكر الشرقي، من خلال العمل على صناعة ميليشيا انفصالية وزراعة ورم إقليمي خبيث عطّل مسيرة التنمية المغاربية، وأدخل شعوب المنطقة في صراع عسكري وإيديولوجي لا تزال تداعياته وانعكاساته قائمة إلى اليوم، يدفع ثمنها المحتجزون المغاربة في مخيمات الذل والمهانة بتندوف، في ظروف لا إنسانية، والشعب الجزائري الشقيق الذي بُددت ثرواته ومقدراته في تمويل مشروع انفصالي وهمي، على حساب مبدأ الوحدة الترابية للمملكة المغربية، الذي يجسّده الإجماع الوطني المغربي والوفاء للعرش العلوي المجيد.

لقد أظهرت المسيرة الخضراء المظفّرة الروح الوطنية المتجذّرة للمغاربة، والتعبئة الشاملة من أجل الوطن، مؤكدة على السيادة الوطنية والتضامن الوطني لتحقيق استكمال الوحدة الترابية، لتصبح رمزًا للصمود وحرمة السيادة في ذاكرة الأجيال، كأعظم ملحمة بطولية سلمية في التاريخ المغربي الحديث.

وبينما كانت المسيرة الخضراء تتوّج الإجماع الوطني بإعلان سلمي حضاري للعالم، كان للرجال العظماء، أسود القوات المسلحة الملكية، دور بطولي في خوض "حرب مقدسة" من نوع آخر، هي حرب الدفاع عن الوحدة الترابية وسيادة الأمة. فقد جسدت القوات المسلحة الملكية، بمختلف أفرعها، درجات عليا من الروح الوطنية والغيرة على الوطن ونكران الذات، وقدّمت بكل إخلاص وشجاعة تضحيات جسيمة بروح الفداء للوطن والعرش، مؤمنة بأن كل شبر من الصحراء المغربية هو جزء لا يتجزأ من السيادة الوطنية. فلم يكن نضالهم مجرد مواجهات عسكرية أو تكتيكات إستراتيجية، بل كان تجسيدًا لعمق الولاء والانتماء، وضمانة حاسمة لوأد كل المحاولات اليائسة التي سعت لعرقلة العودة المظفّرة للصحراء إلى كنف الوطن، ليظلوا بذلك رمز الصمود ودرع الأمة الحصين.

الأكيد أن المملكة المغربية تصدّت لمشاريع الهدم والتقسيم والهيمنة، من خلال مواجهة عسكرية ودبلوماسية مفتوحة مع الأدوات الانفصالية ومموليها وداعميها، طوال عقود، بعد استنفاد كل الجهود السياسية لبناء أسس سلام دائم واستقرار يخدم مصالح شعوب المنطقة. وبعد عقود أخرى من حالة اللاحرب واللاسلم، واجهها المغرب منذ اليوم الأول بجهود تنموية جبّارة استفادت منها ساكنة الأقاليم الجنوبية، كباقي رعايا العرش العلوي، من طنجة إلى الكويرة، حيث عرفت هذه الأقاليم العزيزة على كل مغربية ومغربي نهضة تنموية جعلتها أكثر الصحاري أمانًا في العالم، وتحولت معها مداشر ومدن الصحراء المغربية إلى نموذج عالمي وقاري في التنمية المندمجة، والتطوير الشامل للبنية التحتية، والازدهار الاقتصادي، والارتقاء الاجتماعي بالساكنة.

ضمان لوحدة المغرب وكرامته

صحيح أن حسم المعركة العسكرية قد تم وفق قواعد اشتباك واضحة وضعها المغرب، بما ينسجم مع المصالح العليا للشعب المغربي والأمن القومي للوطن، إلا أن المعركة الدبلوماسية استمرت إلى حدود كتابة هذه الأسطر، حيث شهدت مختلف عواصم القرار العالمي والقاري والإقليمي مواجهات سياسية كبرى انتهت بتقزيم الطرح الانفصالي وتثبيت السيادة المغربية على أقاليمنا الجنوبية، في عملية دبلوماسية نوعية مستمرة في الزمان والمكان، سيتوقف التاريخ طويلا ليحكي يومًا عن بطولات رجال ونساء الدبلوماسية المغربية والمصالح الخارجية، من عمل نوعي كبير وتضحيات جسام في سبيل إحقاق الحق وخدمة المصالح العليا للشعب المغربي، وفق الرؤية الملكية المتبصرة. وهو ما أكده خطاب الملك محمد السادس في الذكرى الثامنة والأربعين للمسيرة الخضراء، قائلًا: "كما مكنت تعبئة الدبلوماسية الوطنية، من تقوية موقف المغرب، وتزايد الدعم الدولي لوحدته الترابية، والتصدي لمناورات الخصوم، المكشوفين والخفيين."

وعلى هذا الأساس، يواصل الملك محمد السادس، أب الأمة ونبراس المسيرة التنموية ورائد العمل الوطني الوحدوي، قيادة المغرب برؤية مستنيرة وحكيمة، مكرّسًا مكانته التاريخية كقائد للوحدة الوطنية. فقد قام جلالته بترسيخ المكتسبات الديمقراطية والتنموية والحكامة الرشيدة، ووضع ملف الوحدة الترابية للمملكة المغربية في صلب اهتمام الدبلوماسية الوطنية، مؤكدًا أن المبادرة المغربية للحكم الذاتي تحت السيادة المغربية هي الحل الوحيد والواقعي لهذا النزاع الإقليمي المفتعل، بدعم مختلف دول المعمور ومساندة كل القوى الدولية الفاعلة في القرار السياسي العالمي، ليحوّل المملكة المغربية إلى فاعل إقليمي ودولي يتمتع بالريادة، ويؤكد أن المصير المشترك للأمة يمر عبر الالتفاف حول العرش، لصيانة الكرامة وحفظ الحقوق وترسيخ السيادة الوطنية كاملة وغير منقوصة، من طنجة إلى الكويرة.

العرش العلوي هو قائد معركة التحرير وملهم الإرادة، والشعب المغربي هو العمود الفقري والقلب النابض لهذه الملحمة الخالدة، مقدمًا على مر العقود أغلى التضحيات بكل سخاء وبسالة من أجل صيانة وحفظ السيادة على الصحراء المغربية، في عهد مقدس بين العرش والشعب، حيث جسدت كل أسرة وكل فرد في هذا الوطن الكبير أروع صور الوفاء والتضحية ونكران الذات. فمنذ اللحظة الأولى للنداء، انطلقت التعبئة الشاملة التي لم تقتصر على المسيرة الخضراء السلمية المظفرة فحسب، بل امتدت لتشمل تحمّل الأعباء الاقتصادية والدفاعية خلال سنوات التحدي والمواجهة، والوقوف صفًا واحدًا خلف الرجال الأبطال في القوات المسلحة الملكية، تحت القيادة الحكيمة للملك محمد السادس القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة.

المزاج العالمي كان بحاجة إلى واحة سلام وإلى حدث إنساني يعيد للإنسانية روحها وحقيقتها فكانت المسيرة الخضراء جوابًا إنسانيًا في عالم الأقطاب والتدافع الأيديولوجي المجنون دفع ثمنه ملايين الأبرياء

لقد تحمّل الشعب المغربي، في سبيل هذه الملحمة، الأعباء الجسيمة للمجهود الحربي الذي صان التراب، والجهد السياسي والدبلوماسي الذي دافع عن الحق، مؤكدًا بذلك إيمانه المطلق بوحدة التراب وكرامة الأمة. وكان الشعب المغربي، بمختلف تعبيراته السياسية، يدًا واحدة وجنديًا صامدًا في معركة الوجود والكرامة، مؤمنًا بأن كل شبر من هذا التراب هو جزء من الروح الوطنية التي لا تقبل التجزئة أو المساومة. هذا الإيمان الراسخ، وهذا التضامن الأبدي بين مكونات الأمة، هو ما جعل الصحراء المغربية تتحول إلى واحة أمن واستقرار وتقدم، وشاهدًا على أن إرادة الشعب الملتف حول عرشه هي القوة التي لا تُقهر، والضمان الأكيد لوحدة الوطن وكرامته.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

نيس.. عتبة بين عالمين تقدم درسا هادئا في العيش

مدينة فرنسية تجمع في نسيجها بين دفء البحر ووقار الجبل وحنين الإنسان

هناك مدن تسحبنا دفعة واحدة إلى تناقضاتها وعناصرها وجوهرها، إنها تملك الوصفة السرية لأن تتحول من جغرافيا إلى زمن، ومن زمن إلى مساحة حياة، يتآلف فيها التاريخ الإنساني مع نظيره الطبيعي، فتخلق سحرها الذي يحوِلها إلى قوة ناعمة. وهكذا هي نيس الفرنسية المدينة التي عرفت كيف تؤلف بين عناصرها.

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

تقع نيس عند النقطة التي يعانق فيها البحر الجبل، في لحظة توازن خفيّ بين الصخر الصارم والماء الحنون، بين الضوء الرهيف وثقل التاريخ. هناك، على الريفييرا الفرنسية، جنوب شرق البلاد، تصير المدينة عتبة بين عالمين: الجبل بصلابته، والبحر بصفائه، وكأنها نغمة ولدت من تلاقي النقيضين. خلفها جبال الألب تتدلّى كستارة زرقاء خضراء، وأمامها المتوسط كمرآة تعيد إليها صورتها في كل موجة.

تفتح نيس ذراعيها للقادمين كأنها تسقط عنهم تعب المسافات، من مطارها المكتظّ الذي يقود مباشرة إلى حضن «خليج الملائكة»، الاسم الذي يشبه غفوة بيضاء على صفحة البحر. هنا لا تستقبل المدينة كجغرافيا فحسب، بل كحالة من صفاء الهواء واعتدال الضوء، كأنها تعيد ترتيب الحواس على إيقاع جديد، وتعلّم الزائر كيف يصغي إلى صمت الجمال.

> **نيس ليست بطاقة بريدية ثابتة، إنها اقتصاد يعتني بالواجهة من دون أن يهمل المصعد الخلفي وتاريخه وجغرافيته**

في نيس، يتحوّل الضوء إلى لغة فنية لا تقرأ بالحروف، بل بالألوان. لذلك وجد فيها ماتيس وشاغال ودو سان فال وأرمان، وهم فنانون فرنسيون كبار، وطنا للرؤية ومختبرا للأرواح التي تبحث عن معنى اللون حين يمتزج بالنسيم. فصارت للمتحف هنا وظيفة البيت الثاني: في متحف شاغال يتجلّى لاهوت الألوان، وفي متحف ماتيس يختزل الجسد إلى حضور نقيّ، أما متحف الفنون الجميلة فيحفظ ظلّ مونيه وسيسلي وبودان، وصدى النحت عند رودان.

إنها نيس، المدينة التي لا ترى بالعين وحدها، بل تدرك بالقلب، مدينة لا تشرح نفسها بالكلمات، بل بالضوء الذي يسكنها وبالسكينة التي تعيد الإنسان إلى اتزانه الأول.

هواء الفن والبحر

إن المدينة نفسها تتصرّف كمتحف مفتوح، واجهات إيطالية الميلاد فرنسية التربية، شرفات مخرّمة بحنين مائل، وأبواب تحرسها حكايات المالكين الذين تواروا وتركوا للواجهة أن تواصل الحديث نيابة عنهم، ولا غرابة أن ينجذب إليها الكتاب أيضا: فرانك هاريس يكتب سيرته في مدينة تجيد الإصغاء، تشيخوف يكمل "الأخوات الثلاث" في مناخ يشبه صالة انتظار شفيفة، ونيتشه يتخذ من شتاءاتها الستّ مختبرا يكتب فيه "هكذا تكلّم زرادشت"، كأن نيس تمنح الفيلسوف حق تأجيل الزلزال، وتمنح المسرحي فرصة أن يحصي صدى الخطوات في الأزقة قبل صعود الستار، وتمنح السيرة الذاتية مرآة لا تبالغ في مديح صاحبها ولا في قسوته على نفسه.

منذ القرن الثامن عشر، حين كانت جزءا من مملكة بييمونتي – سردينيا، تعلّمت نيس فنّ استضافة الشتاء، فأصبحت منتجعا لأسر أرستقراطية وبريطانية جاءت تجلّس صحّتها المرهقة على مقاعد الشمس المائلة، وفي عام 1832 أقرّت خطة حضرية تهذّب المكان ليستقبل الغريب بلا ميوعة ولا تجهّم، ثم إن المدينة حين ألحقت بفرنسا عام 1860 وسّعت طريق "الكامين دي إنغليزي" الضيّق، مترين من حجارة بحرية، حتى صار منتزه الإنجليز، ذلك الكورنيش الذي يكتب قصيدة طويلة من راحات اليد على الدرابزين ومن هدير معتدل، هناك تتكاثر الدراجات والعدّاؤون والكراسي الزرقاء التي تمارس طقوس التأمّل، أشجار نخيل تحرس مسافة الرؤية، وشاطئ حصويّ يذكّر بأن النعومة ليست شرطا للجمال.

في نيس، للحصى منطق آخر في الراحة: أنه يوقظ الجسد إلى وجوده، وأنه يجعل كل خطوة اتفاقا بينك وبينه، ومع أن الماء صاف يدعوك، فإنه لا يلغي ذلك الحوار الناضج بين الدعوة والحذر، ولهذا بالذات يبقى هذا المتنزه مسرحا يوميا، تتبدّل فيه العروض بتبدّل الأجساد والمزاج والطقس، لكنه يحتفظ ببنية ثابتة: يمينك بحر، يسارك مدينة، وبينهما إنسان يفاوض عمره.

المدينة القديمة، فييو نيس، هي المتاهة التي لا تريد أن تضلّك، تعدك بضيق الأزقة حتى تغدو الروائح خيوط هداية: جبن يمرّ بك أولا، قهوة كثيفة من فم مقهى يتقن الصبر، مِلح زيتون، ورد مطحون في سوق كور سالايا، أصوات باعة يبدّلون المزاج بصلصلة ودودة، ومطاعم تفرك على الطاولة وصفات محلية تعيد تعريف البساطة: خبز رقيق من الحمص يسمّى سوكا، وسلطة تنسب إلى المدينة نيسوا، زيت زيتون كريم، طماطم لا تخجل من لونها، بيض وزيتون وأنشوفة تعقد صلحا بين اليابسة والبحر.

وحين تخرج إلى الضوء الكبير عند ساحة ماسينا، حيث الفسيفساء الأرضية نافذة على طفولة هندسية، تدرك أن المدينة تعرف كيف توزّع الضوء كأنها تدير ستارة مسرحية، تماثيل تنظر إلى الجهات السبع، نافورات تتدرّب على النسيان، ومبان تحيط بالمشهد كجوقة تحفظ النغمة، وفي طرف قريب قصر ماسينا يلمّح ذاكرة بيل إيبوك على طريقتها الهادئة، وفي موضع مواز قصر لاسكاريس يفتح متحفا داخل متحف: باروك متأنّق، سلالم لولبية مقنطرة، غرف تقيس الزمن بأثاثها، ثقل التاريخ هنا ليس رخاميا؛ إنه قابل للمشي.

وحين تصعد تلة القلعة، كولين دو شاتو، تفهم أن المدن تقرأ من أعلى أيضا، شلال يصقل الهواء، شرفات نظر تعيد ترتيب المشهد: المرفأ كعلبة مفاتيح ملوّنة، الزوارق كأصابع بيانو، المنارة وكاسر الأمواج كجمل فاصلة تحفظ النص من الانفلات، ثم تلمح النصب التذكاري للجنود الذين سقطوا، فتدرك أن صمت المدن ليس فراغا بل حفظ للصفحات المؤلمة في جلد الحجر، التاريخ هنا لا يتباهى ولا يعتذر؛ إنه يذكّر بأن الجمال لا يشتغل منفردا، وأن الاستقرار ليس هدية بل نتيجة هندسة سياسية واجتماعية طويلة النفس، لذلك يبدو وصولك إلى منتزه فونيكس في الجنوب الغربي، سبعة هكتارات من تقسيم حنون للطبيعة، بحيرة وحديقة متوسطية وحديقة حيوان تلمُلم دهشة الأطفال، وبيت نباتي زجاجي بمساحة أربعة آلاف متر مربع هو الأكبر في أوروبا من نوعه، يبدو كل ذلك كفصل آخر في كتاب واحد عنوانه: كيف تدرّب مدينة نفسها على العيش؟

نيس ليست بطاقة بريدية ثابتة، إنها اقتصاد يعتني بالواجهة من دون أن يهمل المصعد الخلفي، بنوك وشركات ومتاجر كبرى، غاليري لافاييت حيث الأزياء تصنع حجتها في خزانة الرغبة، مطاعم ومقاه تمشي على رصيف دوليّ الأخلاط، جامعات ومراكز بحث في العلوم والصناعات المتقدّمة، حداثة لا تدّعي البطولة لكنها تنجز شروطها، وهي إلى ذلك ذاكرة سياسية تبدّلت مرات، من مقاطعة تاريخية تسمّى مقاطعة نيس إلى مدينة فرنسية تحتفظ بلكنتها الإيطالية في بعض تلافيفها.

هذا التهجين هو سرّ المعمار: بيوت بألوان قدّت من حلوى، مغالق شرفات خشبية تحنو على الداخل، فنادق تعلّمت اللغة الدولية من كثرة ما أقامت فيها اللغات، منتجعات شتوية كانت يوما ملعب الأرستقراطية الأوروبية، ثم صارت اليوم ديموقراطية الإقبال العام، أربعة ملايين سائح سنويا، أكثر مما تتحمّله أساطير المكان إن تركت وحدها بلا تنظيم، لذلك يظهر أثر التخطيط في توسيع الكورنيش وتعديل حركة السير وتوزيع المساحات العامة، أكثر من ثلاثمئة هكتار من حدائق وساحات، وجداول وأنهار صغيرة تتسلّل من قلب الجبل إلى فم البحر، مئة وخمسون نبع ماء توزع تراتيلها على الحجارة، كأن المدينة آلة عزف مائية تتدرّب على البقاء.

لكن ما الذي يجعل المكان ينجح كمدينة وليس فقط كمنتجع؟ ربما هذه القدرة على تدوير الحنين من غير أن يتحول إلى متحف للماضي، وعلى صيانة الحاضر من غير أن يغدو سوقا صاخبا بلا روح.

جمال يتقن الهواء

الرياضات المائية ليست ترفا في نيس، هي امتداد منطقي للمشهد، تجد ركوب الأمواج إلى جوار الغطس، تجد الزوارق الشراعية تتدرّب على العثور على ريح شخصية، والصيد يواصل وظيفته القديمة في تدريب الصبر، ومن البحر إلى الجبل مسافة قرار أكثر منها مسافة طريق، يكفي أن تشدّ الخيط لتجد نفسك على طرقات جبل بورون أو عاليا باتجاه محمية الألب البحرية، حيث الهواء يكتسب طعما واضحا ويعود المرء تلميذا في صفّ المنظر الطبيعي.

المشي الطويل هنا ليس رياضة فحسب، إنه تدريب على فهم المقاييس، كيف يبدو الخليج صغيرا من ارتفاع عال، وكيف يتخذ الزمن سرعة أخرى حين لا تظهر الساعة غير ظلّها على العشب، في الشتاء يكون الضوء مائلا، وفي الصيف يعتدل كمعلم يوزع العلامات، وفي الفصول الأربعة تتغير نبرة المدينة لكن لحنها لا يتبدّل: انفتاح وهدوء، كثافة من غير ضغط، إغراء من غير ابتذال.

من المرفأ، تخرج العبارات إلى كورسيكا، وتدخل اليخوت الخاصة كأنها جمل اعتيادية في نصّ المكان، في طرف الميناء المنارة تشبه إصبع إشارة يطمئن السفن: هنا مدينة لا تعيش على المصادفة، وكاسر الأمواج يذكّر بأن كل جمال يحتاج إلى هندسة حماية، هذا الشعور بالأمان ليس مبالغة في النظام؛ إنه شرط ليكون الفرح ممكنا، لذلك حين تمشي في كورنيش برومينياد ديه أونغليه، أو تتنقّل بين الساحات، أو تجلس في فيو نيس تأكل قطعة حلوى وتراقب الناس، ستفهم لماذا اختار كثيرون قضاء شتاءات هنا، وكيف ولدت الهندسة الاجتماعية من مزاج مناخي.

المناخ المعتدل ليس وصفة طقس فقط، إنه طريقة في الكلام، في سرعة الخطى، في نوع الموسيقى التي يحبها الناس، في احتمالات المصادفة في الشارع، حتى إنك تستطيع أن تقرأ المدينة كرسمة على جهاز نفساني: درجات القرب بين الأجساد، عدد المرات التي تبتسم فيها الوجوه بلا سبب، نوع المزاج الذي يختاره الباعة مع الزبائن، تفضيل الألوان في الملابس، كل هذا يخبرك أن نيس وضعت مرآتها أمام البحر، ورأت انعكاسها فاختارت أن تصدّقه من دون إفراط في الزينة.

> **المدينة تمكنت من تدوير الحنين دون أن يتحول إلى متحف للماضي، ومن صيانة الحاضر دون أن يغدو سوقا بلا روح**

هنا أيضا طبقات تاريخية تضع العائلة الواسعة للمدينة في صالون واحد: تأثيرات روسية من زمن قيصر كان يرسل طبقه المخملي للاستشفاء، حضور بريطاني رسّخ نبرة السير على البحر، أثر إيطالي في النغم المعماري واللسان والطعام، ثم الوجه الفرنسي بجديته الإدارية ورهافته الفنية، هذا الخليط صنع أساليب تخطيط حضري انتقائية لكنها متصالحة، لذلك ترى أحياء نشأت على مراحل متعاقبة، تلتحق المدينة القديمة بها من غير أن تخلي موقعها العاطفي، وتجد حداثة تراعي الذاكرة من غير أن تبتزّها، وقد يبدو هذا كله بسيطا في عيون السائح الذي يريد صورة مع البحر ووجبة طيبة وحفلة في المساء، لكنه في عين المدنيّة فعل بالغ التعقيد: أن تسمح لعشرات الثقافات أن تمرّ من هنا وتترك شعرة في نسيجك من غير أن تتمزّق.

أنفاس المدينة الهادئة

قد تقال جملة أخيرة عن الزمان في نيس، تلك المدينة التي تتعامل مع الوقت كما يتعامل العاشق مع أنفاسه؛ لا يقيسها بالساعات، بل بما يوقظ القلب من إحساس. فزمن نيس ليس خطّا مستقيما يبدأ من ساعة المطار وينتهي في ساعة الفندق، بل هو نسيج من طبقات شفافة تتداخل فيها الأزمنة كما تتداخل درجات الضوء عند الغروب. تتباطأ الساعة حين تمرّ أمام واجهة قديمة ما زالت تحفظ ظلّ أصحابها، وتتسارع حين تنزل الدرج إلى الشاطئ لتلامس الماء الذي يعيدك إلى طفولتك الأولى، ثم تتوقف لحظة في متحف أمام لون يذكّرك بشيء لا تعرف اسمه، وتعود للركض حين يدعوك موعد لا يحتمل التأجيل.

وفي لحظة أخرى، تتسع الدقائق في حفل جاز نابض بالحياة، حين تشعر أن الدقيقة يمكن أن تتحول إلى أغنية، ثم تهدأ في مطعم صغير يطبخ وصفته على نار لا تخاف من الزمن.

هكذا تكرّر نيس درسها الهادئ في العيش: أن الحياة ليست سباقا يرهق الجسد، ولا استرخاء يطفئ المعنى، بل توازن دقيق بين ما يمرّ وما يبقى، بين ما نحتفظ به في الذاكرة وما نتركه يذوب في الزحام، بين ما نملك يقينا وما نشاركه مع الآخرين.

تقرأ نيس كما يقرأ نصّ جميل دفعة واحدة، بلا فواصل ولا شروحات. هي مدينة تتنفّس ببطء وتدعو ساكنها لأن يتنفّس معها، تجمع في نسيجها بين دفء البحر ووقار الجبل وحنين الإنسان. مكان يشبه نعمة خفية، لا ترفع صوتها لكنها تعلّمنا أن الجمال ليس زينة للعين، بل نظام داخليّ للحياة.

في نيس، كلّ شيء يتآلف: الهواء، الناس، التاريخ، المعمار، الموسيقى، العمل اليومي الصبور. لذلك حين تغادرها، لن تأخذ منها صورة فحسب، بل ستأخذ إيقاعا جديدا للعيش، وفهما آخر للزمن، كأن المدينة همست في أذنك: تمهّل، فالحياة تقاس بما يبقيك حيّا، لا بما يمضي منك.

التهجين هو سرّ المعمار

هنا الحياة ليست سباقا

مدينة تعلّم الزائر كيف يصغي إلى صمت الجمال

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

«حين تحلم الحياة».. شعر نسوي إنساني صربي يخلق من المرأة كائنا كونيا

دانجييلا ترايكوفيتش ترسم فضاء شعريا بين الذاكرة والجسد

تكشف لنا الشاعرة الصربية دانجييلا ترايكوفيتش في ديوانها "حين تحلم الحياة" عن مأساة الجيل البلقاني بعد الحروب، جيل بلا بطولات، لكنه يُفضّل البحث عن معنىً للبقاء، ومعنىً للحب بعد الخراب، ومعنىً للحلم والأمان. تكشف كل ذلك بكلماتها التي تتحول إلى خارطة روحية للأنثىٰ البلقانية الشابة التي تكتب لتشفىٰ.

حميد عقبي
كاتب ومخرج سينمائي يمني

يقدّم الشاعر الروماني ميرتشا دان دوتا في مقدمة ديوان "حين تحلم الحياة" قراءةً نقدية معمّقة للمشهد الشعري الصربي الحديث متعدّد التيارات، قبل أن ينتقل إلىٰ تأطير تجربة الشاعرة دانجييلا ترايكوفيتش التي يرى فيها صوتا مميزا حاول أن يوازن بين الكلاسيكية والحداثة، وبين الوعي الأنثوي والإنساني.

يرى الناقد أن الشعر الصربي، شأنه شأن باقي الآداب في منطقة البلقان، يعيش انقسامات حادّة بين تيارين: أولهما الكلاسيكي المتمسّك بالموروث اللغوي والأسلوبي، والثاني الحداثي الذي يميل إلىٰ النيو - رمزية واللغة اليومية.

قصيدة ما بعد الحرب والصدمة في المشهد الشعري الصربي والبلقاني محاولة شجاعة لشق طرق جديدة نحو المستقبل

في هذا الانقسام، نادرًا ما ينجح شاعر في الجمع بين الحسّين. ومع ذلك، تؤكد مقدّمة ديوان "حين تحلم الحياة" أن الشاعرة دانجييلا ترايكوفيتش تمثّل استثناءً مدهشًا، كونها استطاعت بناء توازن لغوي وجمالي مزج بين صفاء اللغة القديمة وجرأة التعبير المعاصر، دون الوقوع في فوضىٰ التجريب أو الجمود المحافظ.

يصف دوتا شعرها بأنه نسوي إنساني متزن، لم يرفع شعارات صدامية متهورة، ولم يتورط في الأدلجة. إنه شعر يرى في المرأة كيانا كونيا؛ الأم، الأخت، الحبيبة، الزوجة، وقبل كل شيء الإنسان، لا مجرّد ضحية أو خصم للرجل. فدانجييلا، برهافة حسّها، تدرك أن العالم لن يُصلح بالصراخ أو بالانتقام من "النصف الآخر"، بل بالبحث عن توازن جماليّ يعيد ترميم العلاقة بين الأنوثة والإنسانية.

كما يبرز دوتا البعد الوطني والوجودي في شعرها، إذ عملت علىٰ تجسيد المرأة الصربية بوصفها مرآةً لتاريخ طويل من الألم والانتظار والنضالات. فقد ظلّت المرأة الصربية متأثرة بتقاليد الأرثوذكسية الشرقية وبالمجتمع الأبوي البلقاني، وحاولت الشاعرة أن تمنح هذا الألم أبعادًا تأملية حضرية لتحرّره من القيود الريفية وتحويله إلىٰ فضاء أكثر فكرية ونضجا.

هنا، المدنية لا تعني هجران القرى، فمن الممكن أن تكون القرى مدنية في الفكر والسلوك والإبداع، لا بالأسمنت والحديد فقط.

علىٰ المستوى الجمالي، أشار الناقد إلىٰ بساطة لغة دانجييلا وعمق صورها ومشاهدها الديناميكية، فهي تكتب بلغة مدنية مفهومة، كأنها تفرّ من الزخرف وتخاف أن تقع فيه، لكنها في الوقت ذاته غنية بالاستعارات المبتكرة والتوليفات غير المتوقعة التي تمنح قصائدها طاقة رمزية عالية.

وفي ختام تقديمه، يرى دوتا أن سرّ قوة تجربة دانجييلا يكمن في قدرتها علىٰ خلق حضورها داخل النص بوصفها ذاتًا وشخصية في آنٍ واحد. فهي تكتب نفسها عبر شخصياتها، وتمنح قصيدتها صدقًا نادرًا يجعلها تقف علىٰ الحدود بين الواقع والخيال. وهكذا تصبح دانجييلا ترايكوفيتش، كما يصفها، "علامة شعرية مميّزة في الشعر الصربي الحديث"، إذ تجمع بين المعرفة، والحساسية، والتوازن الإنساني، في عالم تتنازعه الأيديولوجيات والخرائب وثقافة الاستهلاك والتفاهة.

في ديوان "حين تحلم الحياة" نواجه تجربة شعرية تتأرجح بين الحلم والذاكرة، تميل إلىٰ الجسد بوصفه أرضًا للذاكرة، وتتلمّس الروح كمنفىً دائم لا يهدأ. حاولت الشاعرة أن تنسج عبر لغتها الهادئة والعميقة نسيجا روحيا يمكن القول إنه تأسّس علىٰ ثلاث ثيمات مركزية تشكّل البنية الداخلية للديوان ومفاتيح قراءته.

أولا: الفقد والموت بوصفهما ذاكرة جماعية، حيث لا يظهر الموت في شعر دانجييلا كحدث عابر أو قدر سماوي، بل كإقامة دائمة داخل الحياة ذاتها. في الكثير من نصوص هذا الديوان، مثل "موت من ثلاثة فصول" و"مخطوفة" و"الموت"، يتحوّل الغياب إلىٰ مادة تكوينية للذات، فتستدعي الشاعرة أرواح الأب والأخ والحبيب، وحتىٰ الوطن الضائع، في صلوات داخلية لا تُعلن الحداد، بل تحافظ علىٰ اشتعال الذاكرة. هكذا يصبح الموت شكلا من أشكال الوجود، ووسيلة للاتصال بما تبقّىٰ من إنسانية في عالم مثقل بالفقد.

ثانيا: الجسد بوصفه وطنا ومسرحا للنجاة، حيث يأتي حضور الجسد الأنثوي في الديوان بصفته فضاءً للتحرر والمقاومة، فهو ليس أداةً للذة المؤقتة أو للخضوع. في قصائد مثل "العجين" و"التينة" و"عسل فاكهة العاطفة"، نلمس تحوّل الجسد إلىٰ لغة رمزية تعيد تعريف الأنثىٰ في مواجهة السلطة الذكورية والتاريخ الحربي.

تقول في قصيدة "عسل فاكهة العاطفة":

لم أبحث عنك في أي طريق، فالطُّرُقُ سئمت
منا سريعا علىٰ أي حال.
في المروج التي كنا نجري فيها، لم تعد
هناك طيور.
لم أبحث عنك عند نافورة القرية،
تلك التي يغمرها الحوض الحجري الكبير
المليء بالعلق،
حيث كنا نملأ الجرار بالماء
ونسقي الماشية.
لم أبحث عنك،
لأنك نائم
في الجهة الأخرى من حارتنا،
ولا رغبة لي في الذهاب إلىٰ هناك.
لقد بحثت عن الرجل الذي أحبّه
في الطرق، في المروج، عند النافورة،
كان يناديني من كل الجهات،
يلتقط خصلات من شعري
ليدفنها في بلدان بعيدة،
حول الأهرامات، كي تتفتح الزهور
في باحة بيت أمه تحت شجرة الزيتون،
لتزهر طوال العام.
بحثت عنه في ملعقة من العسل
قدّمتها لي ابنةُ عمي.
لقد سافرت نحلُنا،
وصار عسلها
يفوح برائحةٍ وطعمٍ من فاكهة العاطفة.

امرأة تكتب عن السلم والأمان (لوحة: سهير سباعي)

هنا نلمس أن الجسد يتحوّل إلىٰ لغة رمزية تعيد تعريف الأنثىٰ في مواجهة السلطة الذكورية والتاريخ الحربي، فهي، كما في هذا النص، تريد أو لا تريد، ولا تفعل شيئًا لا تريده. تتكرّر مفردات عديدة في متن الديوان كأنها إشارات جينية تشي بجسد يكتب ذاته ويقاوم عبر اللغة، لا عبر الصراخ. وهنا تتجلّىٰ الأنوثة ككتابة وجودية لا كهوية مغلقة.

أما الثيمة المركزية الثالثة التي تشكّل البنية الداخلية للديوان ومفاتيح قراءته، فهي الحرب والذاكرة البلقانية، حيث تنعكس حروب البلقان في نصوص هذا العمل الشعري، لا بوصفها وقائع ماضوية أو أخطاء سياسية، بل كندبة نفسية، روحية وجمالية عميقة. الحرب تُروى من الداخل: من مطبخ خال، من فراش بارد، من طفل لا يقدر علىٰ الكلام.

في قصائد "حرب حُبّين" و"الأم والأطفال والأفعىٰ"، تكشف لنا دانجييلا عن مأساة الجيل البلقاني بعد تلك الحروب، جيل بلا بطولات، لكنه يُفضّل البحث عن معنىً للبقاء، ومعنىً للحب بعد الخراب، ومعنىً للحلم والأمان.

لا نلاحظ تكرار حضور هذه الثيمات تكرارا شكليا، بل نشعر بأنها تتكرّر كفعل تأمل دائم في جروح لم تلتئم بعد. فدانجييلا ترايكوفيتش تعيد طرح الأسئلة ذاتها بأقنعة مختلفة مثل الأم، الحبيب، الجسد، الذاكرة، الوطن، لأن الألم ذاته يعيد توليد نفسه.

بهذا، يتحوّل ديوانها إلىٰ خارطة روحية للأنثىٰ البلقانية الشابة التي تكتب لتُشفىٰ، ولتجعل من الشعر بديلا عن الحرب، وتحلم بالحب والسلام الدائمين.

يبدو أن ديوان "حين تحلم الحياة" للشاعرة الصربية أشبه بفضاء شعري يتحرك فيه الحلم والذاكرة والجسد والمكان في تفاعل درامي عميق. فالمشهدية الشعرية هنا لم تُبنَ علىٰ الوصف الجذّاب فقط، بل علىٰ الحركة الداخلية بين الكلمة والصورة، حيث يتحوّل كل مقطع إلىٰ حدث شعريٍّ يستدعي الذاكرة الجمعية والوجدانية في آن واحد.

سنلاحظ كذلك ديناميكية المكان؛ البيت، الحديقة، القرية، النافذة، أو حتىٰ مقهىً في باريس، فهو ليس ديكورا ولا خلفية ساكنة، بل كائن يشارك في الفعل ويكتسب دلالة رمزية. ففي هذه الأمكنة تدور القصائد ككادرات سينمائية صغيرة، تُحرّكها لغة مكثّفة تجمع بين السرد والهمس، بين التأمّل والسؤال.

في أغلب النصوص نلمس ما يشبه التوازن بين الحدث الداخلي والحركة البصرية.

إذن، القصيدة عند دانجييلا لا تكتفي بوصف الألم وقسوته، لكنها تسائله: كيف نعيش بعد الفقد؟ كيف يمكن للأنثىٰ أن تكتب جسدها دون خوف، وأن تستعيد صوتها في عالم حافل بالعنف؟

لذلك، فإن البناء الشعري يتقدّم عبر السؤال والبوح، ولا يشترط أن تعرض الشاعرة يقينها. والأكثر إدهاشًا هو تحوّل الحلم إلىٰ وسيلة للفهم، واللغة إلىٰ جسر نحو التصالح مع الذات والعالم.

إن تجربة دانجييلا ترايكوفيتش، وهي شاعرة ومترجمة من جيل ما بعد الحرب في البلقان، تقدّم نموذجا ناضجا للشعر النسوي الإنساني الذي يسعىٰ إلىٰ خلق سلام داخلي وجمالي بدل إعادة إنتاج الصراعات ودعوات الانتقام. نتأمل أنها تكتب بلغة متوازنة تعكس صدقها العاطفي، وتفتح لنا نافذة علىٰ روح البلقان التي تتوق إلىٰ السفر والحب والحياة، لا إلىٰ الحرب والرثاء.

من هنا، تصبح ضرورة انفتاحنا كمبدعين ونقّاد عرب علىٰ المشهد الشعري الصربي والبلقاني أكثر إلحاحا، لأن قصيدة ما بعد الحرب والصدمة هناك لم تعد صرخة ألم مؤثرة، بل محاولة شجاعة لشقّ طرقٍ جديدة نحو المستقبل، حيث الشعر فعل مقاومة ضدّ العدم، ورغبة في الحياة، وتعايش في سلام دائم، وبناء للأوطان.

شاعر الألوان مجدي نجيب الحاضر الأكبر في ملتقى العامية المصرية

القاهرة - يستعيد الوسط الثقافي المصري سيرة واحد من أهم شعراء العامية، ألا وهو مجدي نجيب الملقب بشاعر الألوان، وذلك ضمن فعاليات الدورة الثالثة من ملتقىٰ العامية المصرية، والتي تأتي بعد عام علىٰ رحيله، مخلفا تجربة شعرية مميزة.

وتنطلق فعاليات الدورة الثالثة من ملتقىٰ العامية المصرية، تحت إشراف صندوق التنمية الثقافية من خلال بيت الشعر العربي، وتُقام هذا العام تحت عنوان "دورة الشاعر الكبير مجدي نجيب،" خلال الفترة من 8 حتىٰ 10 نوفمبر الجاري، بمشاركة نخبة من أبرز شعراء العامية من مختلف المحافظات.

ويأتي الملتقىٰ تقديرًا لتجربة الشاعر الكبير مجدي نجيب، التي أثرت وجدان المتلقي المصري والعربي، وأسهمت في ترسيخ هوية شعر العامية المصرية كأحد أبرز أشكال التعبير الإبداعي المرتبطة بالوجدان الشعبي.

وأكد الشاعر سامح محجوب، مدير بيت الشعر العربي، أن "ملتقىٰ العامية المصرية في دورته الثالثة يأتي استمرارًا لنهج بيت الشعر في الاحتفاء بالتجارب الأصيلة التي حافظت علىٰ جمال اللغة المصرية وقربها من وجدان الناس. واخترنا هذا العام اسم الشاعر الكبير مجدي نجيب تقديرًا لإبداعه الذي شكّل وجدان جيلٍ كامل، وإيمانًا بأن العامية ليست لغة هامشية، بل لغة حياةٍ وهويةٍ وثقافةٍ متجذّرة."

وأضاف محجوب أن الملتقىٰ يهدف إلىٰ مدّ جسور التواصل بين أجيال الشعراء، ودعم المواهب الشابة التي تقدم رؤى جديدة تعبّر عن نبض الشارع المصري بروح فنية راقية.

ويأتي الملتقىٰ ضمن خطة صندوق التنمية الثقافية الهادفة إلىٰ إتاحة المنصات الثقافية والإبداعية أمام المبدعين في مختلف المجالات، ودعم المشهد الثقافي المصري عبر برامجه المتنوعة التي تشمل الشعر والموسيقىٰ والفنون التشكيلية والتراث والحرف التقليدية، في إطار تحقيق العدالة الثقافية ونشر قيم الجمال والإبداع في ربوع مصر.

ومجدي نجيب هو شاعر مصري معاصر يُعد من أبرز شعراء العامية في مصر والعالم العربي. وُلد في مدينة السويس عام 1936، ونشأ في بيئة شعبية أثّرت كثيرا في لغته الشعرية وصوره الفنية. بدأ مشواره الأدبي في خمسينات القرن العشرين، واستطاع أن يلفت الأنظار بأسلوبه الصادق والعميق الذي يجمع بين العاطفة والوعي الاجتماعي.

تميّز شعر مجدي نجيب بقدرته علىٰ التعبير عن وجدان الإنسان المصري البسيط، وعن مشاعر الحب والوطن والانتماء. لغته العامية كانت قريبة من الناس، تجمع بين العذوبة والصدق، ما جعل قصائده تُغنّىٰ وتُحفظ بسهولة. كتب كلمات عدد كبير من الأغاني التي أصبحت من علامات الغناء المصري، وغناها كبار المطربين مثل عبدالحليم حافظ، ووردة الجزائرية، ونجاة الصغيرة، ومحمد منير.

لم يكن نجيب مجرد شاعر غنائي، بل كان صاحب رؤية إنسانية وفنية عميقة. استخدم الشعر العامي كأداة للتعبير عن قضايا المجتمع والحرية والحلم بالعدالة. وقد ترك بصمة واضحة في وجدان الأجيال بفضل صدقه الفني واهتمامه بالإنسان في كل قصيدة كتبها. ويُعتبر اليوم من رواد الشعر العامي الذين طوّروا هذا الفن وارتقوا به إلىٰ مصاف الأدب الراقي.

ما يميز شعر مجدي نجيب احتواؤه علىٰ تركيبات لغوية تفرد بها في مجال الشعر العامي، وصور شعرية كأنه يرسمها أمام الجمهور بريشة الكلمات، فالفنان الذي تخرج في كلية الفنون الجميلة، لم يكن مهتما بغزارة الإنتاج قدر اهتمامه بخلق إبداع نادر الحدوث، يكمن سره في خصائصه المتفردة، التي تلاقت مع منهج المطرب محمد منير علىٰ وجه الخصوص، إذ وجد فيها المطرب القادم من النوبة سبيلًا لتحقيق رغبته في التفرد بكلمات يشعر من يسمعها وكأنه داخل عالم خيالي خاص ورغم غرابته يعكس واقعًا ملموسًا.

سامح محجوب

اخترنا مجدي نجيب تقديرا لإبداعه الذي شكل وجدان جيل كامل

وأشهر ما غنىٰ له منير، أغنية "شبابيك" التي قال عنها مجدي: "كانت عايشة معايا أيام المعتقل، لكن مكتبتهاش في المعتقل، إحنا كنا بنحب عبدالناصر جداً."

ونجيب أحد الشعراء والمثقفين الذي سجنهم جمال عبدالناصر، وتعد قصة اعتقاله من أبرز المحطات في حياته، وتعكس العلاقة المتوترة أحياناً بين المثقف والسلطة في فترة حكم عبدالناصر.

وكان سبب اعتقاله قصيدة كتبها تتحدث عن الحرية والعدالة، اعتبرتها أجهزة الأمن حينها نوعا من التحريض أو النقد غير المقبول للنظام، رغم تأييده للرئيس، أُلقي القبض عليه وقضىٰ فترة في السجن، حيث عاش تجربة قاسية تركت أثرا كبيرا في نفسه وشِعره، وخلال فترة اعتقاله، لم يتخلَّ مجدي نجيب عن إيمانه بالكلمة، بل ظل يكتب في الخفاء، متخذا من الشعر وسيلة لمقاومة القهر. وبعد خروجه من السجن، استمر في الإبداع وازداد عمقا ونضجا، وكتب أغنيات خالدة تعبّر عن الحلم والحرية والإنسان.

نشر 7 دواوين هي: " صهد الشتا" عام 1964، و"الحب في زمن الحرب" و"ليالي الزمن المنسىٰ" عام 1974، و"مقاطع من أغنية الرصاص" عام 1976، و"غاب القمر" و"ممكن" عام 1996 ، وأخيراً "وش يشبه حزننا". كما كتب عن الموسيقىٰ "صندوق الموسيقىٰ والغناء - زمن الفن الجميل"، و"أهل المغنىٰ" إضافة إلىٰ كتابه "العاشقان" وهو رسائل غرامية أدبية، يمزج فيها بين أجناس الأدب من سرد وشعر ونقد وتأريخ موسيقي، وله رواية وحيدة هي "ولد وأربع بنات".

ورغم صوته المسموع وأشعاره المؤثرة، لم يشغل نجيب نفسه بغزارة الإنتاج، وهو ما تصفه الناقدة عزة حسين بـ"مفهوم نجيب عن ماهية الشعر، كحالة من التواصل مع مفردات الحياة ومناجاتها ومساءلتها واستنطاقها من دون ثرثرة، وملاحقة الخط الوهمي الفاصل بين مساحات الحلم والواقع، حيث يحضر الشعر بحضور بواعثه ومثيراته القومية والإنسانية والفردية."

شاعر نطق بصوت الوجدان المصري

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

شارع مستقيم لا ينحني أمام الزمن

سوق مدحت باشا ينبض بالتاريخ والتجارة في قلب دمشق

يمتد سوق مدحت باشا في دمشق على أكثر من 1500 متر، جامعًا بين العمارة التاريخية والتجارة الحديثة، ويُعرف بالشارع المستقيم، ويضم محلات صغيرة تبيع منتجات تقليدية وحديثة، من النحاسيات والعطارة إلى الأقمشة والمأكولات الشعبية. يعود تاريخه إلى العهد العثماني، وما زال ينبض بالحياة كوجهة سياحية وتراثية تجمع بين الماضي والحاضر في قلب دمشق القديمة.

دمشق القديمة تتحدث

دمشق - في قلب العاصمة السورية دمشق، حيث تتشابك الأزقة وتتنفس الحجارة عبق التاريخ، يمتد سوق مدحت باشا كأحد أقدم الشوارع التجارية في المدينة، حاملاً في طياته مزيجاً فريداً من الحضارة والتجارة، ومن الأصالة والحداثة. على مسافة تتجاوز 1500 متر، ينساب السوق كشريان نابض بالحياة، يربط بين باب الجابية وباب شرقي، ويُعرف أيضاً باسم "الشارع المستقيم"، وهو الاسم الذي يعود إلى العهد الروماني، حين كان جزءاً من الطريق الرئيسي في مدينة دمشق القديمة.

> سوق مدحت باشا ليس مجرد شارع، بل رحلة يومية بين التاريخ والحرف الدمشقية وروائح العطارة التي لا تُنسى

في هذا السوق لا تكتفي العيون بالتبضع، بل تتجوّل بين القناطر الحجرية، وتُلامس جدرانا شهدت مرور القوافل، وسمعت أصوات الباعة منذ قرون. العم عبدالفتاح قباني، أحد أبناء دمشق القدامى، يقول إن السوق هو مرآة المدينة، ففيه تتجلى فنون العمارة التي مرت بها دمشق من الرومان إلى الأمويين، ثم العباسيين والمماليك والعثمانيين. ويضيف لوكالة الأنباء السورية (سانا) "كل حجر هنا يحكي قصة، وكل دكان يحمل ذاكرة، من أيام القوافل التي كانت تأتي من بغداد والقاهرة وحلب، إلى أيامنا هذه حيث يلتقي القديم بالجديد في تناغم لا يشبه إلا دمشق."

ويؤكد ماهر المسكي، أحد سكان حي القيمرية المجاور، أن عمر السوق يتراوح بين 400 و600 سنة، وأنه ما زال وجهة يومية لأهالي دمشق، وللزوار من داخل سوريا وخارجها. ويقول "رغم التحديات ما زال السوق ينبض بالحياة، ويحتضن إرثا تاريخيا غنيا، من الحرف اليدوية الدمشقية إلى المأكولات الشعبية، ومن النحاسيات والسجاد إلى العطورات والأعشاب."

تتوزع المحلات الصغيرة على جانبي السوق، بمساحات تتراوح بين 8 و20 مترا مربعا، وتُعرض فيها منتجات تقليدية وحديثة، في مشهد يجمع بين الماضي والحاضر. وفي تفرعات السوق الجانبية تظهر أسماء الأسواق المتخصصة، مثل سوق الحرير وسوق الصوف وسوق الخياطين وسوق البزورية، حيث تُباع التوابل والمكسرات والعطارة، في روائح تُغري الحواس وتُعيد الزائر إلى ذاكرة الطفولة.

ويمتد السوق ليصل إلى حي الأمين وحي القيمرية، ويقود الزائر إلى عدد من الأماكن الأثرية والدينية، مثل الجامع الأموي وكنيسة حنانيا، وفي نهايته يقف قوس النصر الروماني شامخا، وشاهدا على عراقة المكان.

حُظي السوق باهتمام كبير عبر العصور، فقد شهد عمليات ترميم متكررة، أبرزها في عام 1879 حين قام الوالي العثماني مدحت باشا بتجديده بالكامل، وتحسين بنيته التحتية، ليصبح رديفاً لسوق الحميدية الشهير. ومن هنا حمل السوق اسم الوالي، تخليدا لجهوده في تطويره. وفي عام 1905 قام والي الشام حسين ناظم باشا باستبدال سقف السوق الخشبي بغطاء من الحديد، حماية له من الحرائق، ليصبح السوق مزيجا من المسقوف والمكشوف، يمتد حتى منطقة باب شرقي.

ورغم مرور الزمن حافظ السوق على اسمه ومكانته، كمعلم سياحي ومركز تسوق، وشهد العديد من أعمال الترميم التي هدفت إلى تنظيم المحلات وتحسين البنية التحتية، دون المساس بروح المكان.

ويقول الباحث في التراث الدمشقي حسام الخطيب إن "سوق مدحت باشا ليس مجرد مكان للتجارة، بل هو متحف حيّ، يروي قصة مدينة عريقة، ويُجسّد تفاعل الإنسان مع المكان عبر قرون من الزمن." ويضيف "في كل زاوية من السوق هناك حكاية، من دكان العطار الذي يخلط الأعشاب كما كان يفعل جده، إلى محل السجاد الذي ينسج بخيوط من الذاكرة، إلى البائع الذي يُطرب الزبائن بأغان شامية قديمة."

ويُعد السوق اليوم مقصدا لكل زائر جديد إلى دمشق، سواء كان سائحا يبحث عن التحف والهدايا، أو باحثا عن الصناعات اليدوية، أو حتى مواطناً يبحث عن احتياجات منزله من الأقمشة والتوابل. ويُعيد السوق لزواره ذكريات الشام القديمة، من خلال مشاهد الحرفيين، وروائح العطور، وأصوات الباعة، وألوان المنتجات التي تملأ المكان بالحياة.

ولا يقتصر جمال السوق على نهاره، بل يمتد إلى لياليه، حيث تُضاء القناديل، وتُفتح المقاهي الصغيرة، ويجلس الزوار في جلسات سمر، يتبادلون الحكايات، ويستمتعون بأجواء دمشق القديمة.

ويُشير الخبير السياحي سامر الزين إلى أن سوق مدحت باشا يُشكّل رافدا أساسيا للسياحة في دمشق، ويُكمل صورة المدينة التي تجمع بين التاريخ والتراث، من قصر العظم إلى الجامع الأموي، ومن سوق الحميدية إلى سوق مدحت باشا. ويقول "الزائر لا يحتاج إلى دليل، فالمكان نفسه يُرشدك، ويأخذك في رحلة عبر الزمن، من العصر الروماني إلى العصر العثماني، مروراً بكل ما بينهما من حضارات."

ويُعد السوق أيضاً بيئة حاضنة للحرفيين، الذين يُحافظون على الصناعات التقليدية، ويُورثونها لأبنائهم، في مشهد يُجسّد استمرارية الثقافة الدمشقية، رغم كل التغيرات.

وفي نهاية السوق يقف الزائر أمام قوس النصر الروماني، وكأنه يُودّع التاريخ، ويُغادر المكان محمّلاً بذكريات لا تُنسى، وصور لا تُمحى من ذاكرة المكان.

سوق مدحت باشا، بهذا الامتداد الزمني والجغرافي، يُجسّد روح دمشق ويُعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والمكان، بين التجارة والثقافة، وبين الماضي والحاضر. هو أكثر من سوق... إنه سردية مفتوحة، تُكتب كل يوم، وتُروى لكل من يمرّ ويُصغي لحجارة تتكلم وأزقة تهمس وباعة يُغنون للحياة.

حُماة التراث الدمشقي

سوق واقف في الدوحة.. متحف حي ووجهة نابضة بالحياة

الدوحة - يُعد سوق واقف من أبرز المعالم السياحية والتراثية في دولة قطر، ويجسّد من خلال حفاظه على طرازه المعماري التقليدي مدى اهتمام الدولة واعتزازها بثقافتها الأصيلة. يقع السوق في قلب العاصمة الدوحة، ويُعتبر من أقدم الأسواق القطرية والخليجية، إذ شُيّد على موقع سوق الدوحة التجاري القديم الذي يعود تاريخه إلى أكثر من قرن، وتم تأسيسه رسميا عام 1955، ليكون مركزا مفعما بالحياة يجمع بين التجارة والذاكرة الشعبية.

وفي عام 2004، خضع السوق لعملية تجديد شاملة هدفت إلى إحياء تراث الأجداد بأسلوب يواكب العصر، ويُورث للأجيال القادمة مفخرة وطنية توثق العادات والتقاليد القطرية. وقد استندت خطة الإحياء إلى دراسات دقيقة حول العمارة التقليدية ومواد البناء القديمة المستخدمة في قطر، مثل الطين والجص والخشب، ما ساهم في الحفاظ على الهوية المعمارية للمكان، دون أن يفقد السوق روحه الأصلية.

أما اسم "سوق واقف"، فيعود إلى أكثر من مئة عام، حين كانت عمليات البيع والشراء تتم وقوفاً بسبب ضيق المكان، إذ كانت السيول تقسم مدينة الدوحة إلى نصفين، ويتجمع الأهالي على ضفتي الوادي لممارسة التجارة، ما جعل الوقوف سمة دائمة للتجار، ومن هنا جاءت التسمية التي بقيت شاهدة على بساطة الحياة في ذلك الزمن.

يقع السوق بالقرب من الكورنيش ومدينة مشيرب، ويُعد بوابة تراثية محببة للمواطنين والمقيمين والزوار من مختلف أنحاء العالم، حيث يجدون فيه تنوعا غنيا في البضائع التقليدية والحرف اليدوية، مثل العطارة والبهارات والبخور والعطور، وصياغة الذهب والخياطة والتطريز، وصناعة العباءات والخناجر والسيوف، إلى جانب أدوات الموسيقى والطيور النادرة والخيول والإبل التي تعكس ملامح البيئة القطرية القديمة.

ويمنح السوق زواره فرصة فريدة للتجول بين ممراته ودكاكينه ذات الطابع المعماري القديم، والتعرف على تاريخ قطر العريق، الذي يعكس وجدان الشعب القطري وقيمه الأصيلة، من بساطة الحياة إلى آفاق النهضة العمرانية الحديثة. فكل زاوية في السوق تحكي قصة، وكل دكان يحمل ذاكرة، من أيام القوافل إلى زمن السياحة الثقافية.

وقد نجحت عملية تطوير السوق في المزج بين الماضي والحاضر، فتحوّل من مقصد لهواة التراث إلى ساحة نابضة تقدم فعاليات ثقافية ومعارض تجارية ترتبط بالزراعة والصناعات الوطنية، ليجد كل زائر ما يستهويه، سواء كان باحثا عن التحف أو عاشقا للمأكولات أو مهتما بالحرف اليدوية.

ويُعد الحفاظ على الطراز المعماري التقليدي في أروقة السوق من أبرز مميزاته، حيث تتناغم الجدران الطينية مع الأسقف الخشبية، وتُزين الممرات بالأحجار الصخرية، في مشهد يبعث على الدفء والحنين. كما يحتضن السوق الحرفيين الذين يواصلون صناعة الذهب والمشغولات اليدوية وفقا للأنماط التراثية، ويعرضون أعمالهم أمام الزوار في ورش مفتوحة تُشبه المعارض الحية.

ملتقى الماضي بالحاضر

وعلى مقربة من المحلات، تنتشر "المجالس" على أرض السوق المرصوفة، وتُزينها "الدواشق" والمقاعد الخشبية القديمة، التي تحتفظ بجمالها الطبيعي، وتفوح منها روائح المأكولات القطرية الشعبية، ما يضفي على المكان طابعا حميميا، ويجعل من الجلوس فيه تجربة ثقافية بامتياز.

ويشهد السوق مشاريع عمرانية وسياحية مميزة، منها فنادق راقية وصروح ثقافية تستوعب الأنشطة الرسمية والخاصة، أبرزها مسرح الموسيقار الراحل عبدالعزيز ناصر، الذي يُعد من أبرز رموز الفن القطري، ويُستخدم اليوم لاستضافة عروض موسيقية ومسرحية متنوعة.

وتحرص إدارة السوق على تنظيم فعاليات موسمية ومناسبات وطنية، تشمل عروضا غنائية ومسرحية تناسب جميع الأعمار، وتستقطب الزوار بفضل تنوع المقاهي والمطاعم والمراكز الثقافية، خاصة مركز سوق واقف للفنون، الذي يحوّل السوق إلى متحف مفتوح يعرض أعمالا فنية محلية وعربية، ويحتضن ورشا ومعارض دورية.

وتُجسد الأزقة المتعرجة مشهدا حيا للحياة التقليدية، وتوفر للزوار قطعا أثرية من مختلف أنحاء المنطقة، من الأحذية إلى التحف، ومعدات صيد الأسماك والغوص، والأقمشة والسجاد والأثاث والزخارف الزجاجية، إلى جانب الآلات الموسيقية مثل العود والمزامير والطبول، التي تُعرض وتُجرب أمام الزوار.

كما يستمتع الزوار بروائح التوابل المنتشرة في السوق، حيث تُعرض النكهات العربية النادرة مثل الزعفران والزعتر والسماق والزهور المجففة والليمون الأسود، إضافة إلى التمور والعسل والشاي والقهوة، في مشهد يُغري الحواس ويُعيد الزائر إلى ذاكرة الطفولة.

> في سوق واقف تختلط روائح التوابل بصوت العود وتنبض الأزقة بحكايات تراثية لا تنطفئ عبر الزمن

وفي متجر اللؤلؤ، يمكن للزائر التحدث مع مالكه، وهو غواص سابق، والتعرف على فن صيد اللؤلؤ ومشاهدة أنواع نادرة من اللؤلؤ الأبيض والوردي والرمادي، في تجربة تجمع بين الحكاية الشخصية والتاريخ البحري للمنطقة.

ويتيح السوق أيضا استكشاف العطور ومستحضرات التجميل التقليدية، من العود والمسك إلى العطور المصنوعة حسب الطلب، والكحل وزيت الأرغان وتصاميم الحناء، حيث تُعرض المنتجات في محلات صغيرة تُشبه خزائن الأسرار.

أما الأطعمة، فهي حكاية أخرى، إذ يعج السوق بالمأكولات التي تعكس ثقافات متعددة، من المطاعم العالمية إلى الباعة الجائلين، حيث تُباع أكلات شعبية مثل الهريس والثريد والمرموقة، إلى جانب السمبوسة وورق العنب واليخنات والزلابية. ولا تكتمل التجربة دون تذوق شاي الكرك والفطائر (الرقاق) والمخبوص والفحسة، والجلوس على الأرض لتناولها بالطريقة التقليدية، مع الكنافة والبقلاوة الشهية التي تُقدّم في أطباق نحاسية صغيرة.

ويُعد سوق واقف من أكثر الأماكن شعبية للتجول مع الأصدقاء، خاصة بعد الغروب، حيث تفتح المقاهي أبوابها حتى ساعات الفجر، وتقدم القهوة العربية والعصائر، وتعرض مباريات كرة القدم، بينما يقدم مجلس الدانة لعبة الطاولة المحلية الشهيرة، في مشهد يجمع بين الترفيه والحنين، ويُعيد تعريف مفهوم السوق كمكان للقاء والتفاعل الثقافي.

ويبقى سوق واقف ذاكرة قطر الحية، ومتحفها المفتوح، ومرآة تراثها الذي لا يزال ينبض بالحياة.

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

في قلب عاصفة الاتهامات والبيانات الغاضبة.. ديربي تونس يشتعل خارج المستطيل الأخضر

طموحات مختلفة.. الترجي لتأكيد توهجه والأفريقي لتصحيح المسار

أجواء مشحونة وبيانات واتهامات وردود أفعال مختلفة ساهمت في نشوب الحرب النفسية بين مسؤلي وجماهير فريقي الترجي والأفريقي، قبل أيام من المواجهة المنتظرة بينهما ضمن منافسات الدوري التونسي. وسيكون ملعب حمادي العقربي برادس، الأحد، مسرحا لمباراة الديربي هذه، الهامة للغاية في الصراع على صدارة المسابقة المحلية.

مراد بالحاج عمارة
صحافي تونسي

تونس - سيلاقي الترجي الرياضي غريمه النادي الأفريقي عشية الأحد، في ديربي العاصمة التونسية ضمن منافسات الدوري المحلي.

وسيستضيف الأفريقي جاره وغريمه الأزلي الترجي في مواجهة الذهاب في حين سيكون للترجي شرف احتضان مباراة مرحلة الإياب، وهو ما يعني أن المباراة سيقتصر فيها الحضور الجماهيري على مشجعي النادي الأفريقي وفقا للوائح اتحاد الكرة والجهات الأمنية في البلاد.

> الحكم التونسي أمير لوصيف أمام مهمة صعبة لضمان العدالة في مباراة تزداد فيها الضغوط على قرارات الحكام

ويتصدر الترجي الترتيب برصيد 30 نقطة من 13 مباراة بفارق ثلاث نقاط عن النادي الأفريقي والملعب التونسي ملاحقيه المباشرين. ويامل الترجي بقيادة مدربه ماهر الكنزاري في مواصلة نتائجه الإيجابية وتحقيق الانتصار الرابع تواليا عندما يحل ضيفا على النادي الأفريقي في مباراة يصعب التكهن بنتيجتها.

وسيدخل الترجي المباراة بمعنويات مرتفعة بعدما وجد في المباريات الأخيرة نجاعته الهجومية واستعاد خدمات البرازيلي يان ساس بعد غيابه بسبب الإصابة. وقال الكنزاري عقب مباراة الفريق ضد شبيبة العمران والتي فاز فيها بنتيجة 4 – 0 "وجود ساس ضمن التشكيلة الأساسية مهم جدا للفريق لأنه يقدم الاضافة في الخط الأمامي وكثيرا ما يكون حاسما." وتابع مدرب الترجي "كل اللاعبين لهم دور مهم في المجموعة لكن بتفاوت وعلى الجميع التحلي بالروح الانتصارية نفسها لمواصلة النتائج التي ترضي الجماهير الكبيرة للنادي."

في المقابل ظهر النادي لاسيما في الجولتين الأخيرتين بوجه شاحب وخرج بتعادلين مخيبين للآمال. النتائج لم تكن وحدها ما أثار المخاوف داخل البيت الأحمر والأبيض، إذ تلقى الفريق ضربة غير متوقعة تمثلت في غياب المهاجم الكونغولي فيليب كينزومبي عن لقاء الديربي الحاسم. بطاقة صفراء ثالثة، حصل عليها اللاعب خلال التحام في الشوط الثاني، كانت كفيلة بحرمانه من المشاركة في قمة رادس، لتتعقّد حسابات المدرب فوزي البنزرتي الذي خسر أحد أبرز أسلحته الهجومية.

فيليب كينزومبي، القادم من مازيمبي الكونغولي في صيف 2024، أثبت منذ انطلاق الموسم أنه أحد أهم عناصر الأفريقي بفضل قدرته على التسجيل والحسم، وكان آخر أهدافه قد منح الفريق نقطة ثمينة أمام مستقبل سليمان في الوقت القاتل. يُعدّ الكونغولي كينزومبي، البالغ من العمر 28 عاما، من أبرز الأسماء التي بصمت بقوة في تشكيلة النادي الأفريقي هذا الموسم. فاللاعب أثبت سريعا قيمته الفنية بفضل حضوره القوي داخل منطقة الجزاء وحسّه التهديفي العالي. وأسهم كينزومبي في 3 أهداف حاسمة بالدوري حتى الآن، كان آخرها هدف الإنقاذ أمام مستقبل سليمان في الوقت القاتل (8+90)، مؤكّدا مكانته كإحدى الركائز الهجومية التي يصعب تعويضها في صفوف "الأحمر والأبيض". وقررت الإدارة الوطنية للتحكيم إسناد مهمة إدارة ديربي الرابطة المحترفة الأولى التونسية بين النادي الأفريقي والترجي الرياضي التونسي إلى أمير لوصيف.

من دون تعيين حكم أجنبي اختارت الإدارة الوطنية للتحكيم مجددا القيادة التحكيمية التونسية لهذه المواجهة الحاسمة. أمير لوصيف أمام مهمة صعبة لضمان العدالة في مباراة تزداد فيها الضغوط على قرارات الحكام. ولمساعدته في إدارة اللقاء، سيكون إلى جانبه حكمان فرنسيان لتقنية الفيديو، وهما حميد قناوي ومهدي مختاري.

تتواصل حالة الغليان في الشارع الرياضي في تونس قبل أيام من ديربي العاصمة المنتظر بين النادي الأفريقي والترجي الرياضي، بعدما تبادلت أطراف من الناديين الاتهامات والتصريحات النارية التي أشعلت الأجواء قبل المواجهة المرتقبة. البداية كانت من جانب النادي الأفريقي، إذ فجّر مسؤول الفريق، سامي بالقاضي، موجة جدل واسعة بتصريحات مثيرة خلال ظهوره في برنامج "الحوار سبورت" على قناة الحوار التونسي. بالقاضي اتهم أطرافًا لم يُسمّها بمحاولة عرقلة مسيرة الأفريقي في الدوري، مشيرًا إلى أن "أحد الأندية المنافسة قدّم منحة مالية قدرها 50 ألف دينار لفريق واجهنا حتى يهزمنا،" في إشارة مبطنة إلى فريقي الترجي ومستقبل سليمان.

منافسة شرسة

وجاءت تلك التصريحات بعد تعادل الأفريقي المخيب للآمال أمام مستقبل سليمان 1–1، وهو ما حرمه من الانفراد بصدارة الدوري، قبل أن يخطف الترجي الصدارة بفوزه على النادي الصفاقسي 2 – 1.

وزادت الشكوك حينما كشفت جماهير الأفريقي أن لاعب الترجي يوسف بلايلي قدّم دعمًا ماليًا إلى مستقبل سليمان، ما اعتبره البعض محاولة لتحفيز الفريق ضد الأفريقي. وفي المقابل لم يتأخر الرد من الترجي الذي وجد نفسه في مرمى الانتقادات مجددًا، لكن هذه المرة من مسؤول بلجنة الحكام في الاتحاد التونسي لكرة القدم، رضا فهمي، الذي وصف أداء الحكم البرتغالي لويس غوديني في ديربي الموسم الماضي بالكارثي.

الترجي ردّ بقوة عبر بيان رسمي قال فيه إن تصريحات فهمي "غير بريئة وتستهدف التشكيك في نزاهة التحكيم الأجنبي،" مطالبًا لجنة الحكام بنشر تفاصيل ما وصفه فهمي بالهفوات الكارثية للحكم البرتغالي. وأكد النادي أن تقييمات لجنة التحكيم السابقة للحكم كانت إيجابية، معتبرا أن ما حدث "محاولة للتأثير على الرأي العام قبل الديربي." وبين اتهامات "الرشاوى" وردود "البيانات الغاضبة"، يبدو أن ديربي تونس هذا الموسم بدأ فعليا خارج المستطيل الأخضر قبل صافرة البداية.

وستنطلق الجولة الـ14 السبت بإقامة أربع مباريات، إذ سيلتقي النادي البنزرتي مع ضيفه النجم الساحلي المنتشي بتحقيق ثلاثة انتصارات متتالية بعد بداية متعثرة هذا الموسم وسيحل شبيبة القيروان ضيفا على الاتحاد المنستيري. وسيلعب الصفاقسي مع مستقبل المرسى، في حين سيلاقي مستقبل قابس ضيفه مستقبل سليمان. وسيلعب النادي الأفريقي مع الترجي التونسي في قمة لقاءات الجولة الأحد، والذي سيشهد ايضا مباراتي نجم المتلوي مع الترجي الجرجيسي واتحاد بنقردان ضد الملعب التونسي. ويوم الاثنين سيحل الأولمبي الباجي ضيفا على شبيبة العمران.

مواجهات مثيرة في الدوري المغربي.. بركان لتضييق الخناق على أندية المقدمة

الرباط - يدخل الدوري المغربي لكرة القدم للمحترفين جولته الثامنة على وقع تغيرات مهمة في مقدمة الترتيب، بعد فوز الجيش الملكي على الفتح الرباطي في مباراة مؤجلة، وعودة نهضة بركان إلى طريق الانتصارات بفوز ثمين على النادي المكناسي في لقاء مقدم عن الجولة ذاتها.

وقد مكن فوز الجيش الفريق من اعتلاء الصدارة بالاشتراك مع الوداد البيضاوي برصيد 17 نقطة، فيما واصل الفريق البرتقالي تضييق الخناق على أندية المقدمة، مؤكدا رغبته في الدفاع بقوة عن لقبه في انتظار خوض لقاءيه المؤجلين. وافتتح الرجاء مباريات الجولة الثامنة بمواجهة الكوكب المراكشي، العائد إلى دوري الصفوة، محققا فوزا صعبا حافظ من خلاله على موقعه ضمن كوكبة الصدارة في المركز الرابع بفارق نقطتين عن القمة.

وواجه الرجاء مقاومة عنيفة من الكوكب، الذي أغلق جميع المنافذ على الفريق الأخضر ولم يخسر لقاءه الثاني في الدار البيضاء إلا في الدقيقة التاسعة من الوقت بدلا من الضائع للشوط الثاني من علامة الجزاء. وفي أولى مباريات يوم السبت، يصطدم حسنية أغادير بأولمبيك الدشيرة في قمة سوسية تعد بالكثير، في ظل سعي الدشيرة لتجاوز دوامة النتائج السلبية بعد اكتفائه بنقطة واحدة في مبارياته الثلاث الأخيرة.

ويطمح الفريق الأغاديري لاستغلال عاملي الأرض والجمهور لتعزيز موقعه في وسط الترتيب وإظهار قوته في المباريات الحاسمة، في حين يسعى الدشيرة لتقديم أداء مغاير واستعادة الثقة أمام منافس قوي. أما المباراة الثالثة التي تجرى في نفس اليوم، فتجمع اتحاد تواركة بنهضة الزمامرة، وهما فريقان لم يتذوقا بعدُ طعم الانتصار هذا الموسم، حيث يطمح تواركة لتحقيق فوزه الأول، فيما يسعى الزمامرة لتجاوز بداياته المتعثرة وإثبات قدرته على المنافسة.

ويبدو اللقا مفتوحا أمام كل الاحتمالات، مما يجعل مواجهتهما أحد أبرز تحديات الجولة. وفي مباراة تبدو متكافئة، يلتقي في آخر مواجهات السبت النادي المكناسي مع اتحاد يعقوب المنصور، اللذين يتطلعان معا إلى استعادة الاتزان بعد بداية متذبذبة خلال الموسم الحالي.

ويسعى النادي المكناسي إلى استعادة نغمة الفوز بعد سلسلة تعثرات، بينما يدخل يعقوب المنصور اللقاء بمعنويات مرتفعة بعد فوزه الأول في الدوري بالجولة الماضية. وفي أولى مباريات يوم الأحد، يحل الفتح الرباطي ضيفا على الدفاع الحسني الجديدي في مواجهة سيكون شعارها ممنوع الخطأ نظرا لوضعية الفريقين الصعبة في جدول الترتيب، اللقاء يشكل فرصة مواتية لتصحيح الوضع وتحسين الموقع واستعادة الثقة.

> الوداد العائد بقوة هذا الموسم بحلة جديدة، يرحل جنوبا لمواجهة أولمبيك أسفي سعيا لمواصلة نتائجه الإيجابية والحفاظ على تواجده ضمن الفرق المنافسة على القمة، في حين تزداد الضغوط على الفريق المحلي الذي لم تتحسن أحواله مع المدرب الجديد زكرياء عبوب.

ويبدو الوداد في وضع أفضل من الموسم الماضي بتشكيلة مختلفة بفضل رقم قياسي من التعاقدات غيرت جلد الفريق كليا. وفي مباراة أخرى تشكل اختبارا عسيرا لاتحاد طنجة، الذي لم يذق طعم الانتصار بعدُ، حين يواجه نهضة بركان الساعي من جهته لتعزيز موقعه بين الكبار ومواصلة سلسلة النتائج الإيجابية. وتزداد الضغوط على المدرب حسن الطير المطالب بتصحيح الأمور أملا في تدارك الموقف قبل فوات الأوان.

وتختتم الجولة بمباراة قمة تجمع الجيش الملكي بالمغرب الفاسي في صراع محتدم على صدارة الترتيب، وهي مباراة تشكل اختبارا حقيقيا للطرفين معا سواء الجيش الذي ينافس بقوة على اللقب في المواسم الأخيرة أو المغرب الفاسي الذي غير جلده وقدم مستوى متميزا حتى الآن. وتعد الجولة الثامنة محطة مفصلية في سباق اللقب، حيث تتقارب مستويات الفرق وتتقاطع الطموحات بين فرق تتطلع إلى الصدارة وأخرى تبحث عن استعادة التوازن وتحسين مواقعها في جدول الترتيب.

أما الوداد العائد بقوة هذا الموسم بحلة جديدة، فيرحل جنوبا لمواجهة أولمبيك أسفي سعيا لمواصلة نتائجه الإيجابية والحفاظ

الأهلي والزمالك إلى نهائي كأس السوبر المصرية

القاهرة - تأهل الأهلي والزمالك إلى نهائي مسابقة الكأس السوبر المصرية في كرة القدم المقامة في الإمارات، وذلك بعدما حقق الأول الفوز على سيراميكا كليوباترا 2 – 1 على ملعب هزاع بن زايد بالعين، فيما تغلب الثاني على بيراميدز 5 – 4 بركلات الترجيح بعد التعادل دون أهداف في الوقت الأصلي على ملعب آل نهيان في أبوظبي، في مباراتي نصف النهائي الخميس.

وستقام المباراة النهائية الأحد على ملعب محمد بن زايد في العاصمة الإماراتية أبوظبي حيث يأمل الأهلي في تعزيز رقمه القياسي والتتويج باللقب للمرة السادسة عشرة في تاريخه، فيما يسعى الزمالك إلى حصد اللقب للمرة الخامسة والأولى منذ عام 2020. وسيسبقها لقاء بيراميدز وسيراميكا كليوباترا ضمن التنافس على المركز الثالث على ملعب آل نهيان بأبوظبي.

ويحمل الأهلي اللقب الذي حققه في النسخ الأربع الأخيرة، وكان قد تغلب في نهائي العام الماضي على الزمالك بركلات الترجيح بعد التعادل السلبي في الوقتين الأصلي والإضافي. وتجمع المسابقة بطل الدوري الأهلي وبطل الكأس الزمالك وبطل كأس رابطة الأندية المحترفة سيراميكا كليوباترا بالإضافة إلى وصيف الدوري بيراميدز.

وجاء فوز الأهلي على سيراميكا كليوباترا 2 – 1 بعد مباراة قوية، إذ يأمل في التتويج الأول لمدربه الجديد الدنماركي يس ثوروب، فيما انتهت آمال سيراميكا كليوباترا في التتويج بلقب كأس السوبر المصري للمرة الأولى في تاريخه.

وتقدم الأهلي عبر محمود حسن تريزيغيه برأسية متقنة من داخل منطقة الجزاء بعدما تلقى عرضية أحمد سيد "زيزو" ليسجل من مسافة قريبة في مرمى محمد بسام. أسبقية الأهلي استمرت حتى الدقيقة 41 حين تمكن مروان عثمان من إدراك التعادل بعدما تلقى تمريرة بينية من المغربي أحمد بلحاج لينفرد بمرمى محمد الشناوي ويسكن الكرة شباكه وينتهي الشوط الأول بالتعادل 1–1.

> الأهلي يأمل في التتويج الأول لمدربه الجديد يس ثوروب، فيما انتهت آمال سيراميكا كليوباترا في التتويج للمرة الأولى

وفي الشوط الثاني استعاد الأهلي الأسبقية في الدقيقة 52 عبر السلوفيني نيتس غراديشار بعدما أرسل زيزو كرة عرضية إلى المغربي أشرف بن شرقي الذي أعادها إلى غراديشار على مقربة من خط المرمى ليسكن الكرة الشباك ويمنح الأهلي التقدم من جديد. وأهدر لاعبو الفريقين عدة فرص في الدقائق الأخيرة لتنتهي المباراة بفوز الأهلي.

وفي أبوظبي تغلب الزمالك على بيراميدز بركلات الترجيح بعد التعادل دون أهداف في الوقت الأصلي. وأهدر مصطفى عبدالرؤوف "زيكو" ركلة الترجيح الخامسة لبيراميدز في الوقت الذي سجل فيه الزمالك ركلاته الخمس ليواصل رحلته إلى المباراة النهائية. وتعد النتيجة تكرارا لما حدث في نهائي كأس مصر الذي انتهى بالتعادل بهدف لكل فريق قبل أن يفوز الزمالك بركلات الترجيح، وهو ما حدث أيضا في نصف نهائي كأس السوبر المصري في نسختها الماضية.

ولم يشهد الشوط الأول الكثير من الفرص، وكانت أبرز أحداثه تعرض مهاجم الزمالك الفلسطيني عدي الدباغ للإصابة ليغادر الملعب ويدخل أحمد شريف بدلا منه. ولم يختلف الأمر كثيرا في الشوط الثاني رغم سيطرة بيراميدز نسبيا ومحاولاته للتسجيل دون جدوى لتذهب المباراة إلى ركلات الترجيح التي ابتسمت للفريق الأبيض الذي يأمل في التتويج باللقب تحت قيادة مدربه المؤقت أحمد عبدالرؤوف.

محاولة كسر الهيمنة

العرب
السبت 2025/11/08
السنة 48 العدد 13654

رحلة يوم واحد إلى ملايين السنين في الصحراء المصرية

في وادي الحيتان الذي يجمع بين حفريات حيتان نادرة تعود إلى عشرات الملايين من السنين، ومتحف فريد يربط تغير المناخ بالتطور البيولوجي، يستمتع الزوار بالتزلج على الرمال والصخور الذهبية نهارًا وينعمون بجلسات السمر تحت سماء مرصعة بالنجوم ليلاً.

أسرار الحفريات وسحر النجوم

الفيوم (مصر) - على بعد 150 كم عن العاصمة المصرية القاهرة وسط تلال ذهبية يقف زوار "وادي الحيتان" بمحافظة الفيوم (وسط)، أحد أشهر بقاع الرحلات اليومية في مصر، على أعتاب مشهدين ممزوجين بالطبيعة الخلابة والتاريخ العتيق.

أول المشهدين، بحسب خبراء تراث وسياحة، نهار بين صخور متآكلة رسمتها تقلبات الطبيعة، بعضها مدفون بين الرمال وأخرى بمتحف تعود إلى ملايين السنين وتكشف عن أسرار مناخية وبيئة نادرة، بجانب متعة التزلج على الرمال الذهبية.

أما المشهد الثاني فيكون ليلا، وتتجسد ملامحه وسط سماء صافية للغاية مليئة بالنجوم الذهبية الجميلة التي تحتضن جلسات السمر والتخييم لاسيما في فصلي الخريف والربيع، ومحبي ودراسي الفلك.

قال خبير التراث الطبيعي والمحميات محمد سامح "وادي الحيتان ابني، أنا شيدت كل حجرة في هذا المكان، وعملت به 25 عاما،" وهو يعتبر هذا الموقع "كنزا نادرا ليس في مصر فقط ولكن في العالم أيضا."

يبوح سامح بأسرار المكان، ويعود إلى القرن الماضي مع اكتشاف العالم البريطاني بيد تل له في 1902، وكيف بدأ المكان يأخذ رونقه مع اكتشافات متوالية لحفريات على مدار سنوات.

تلك الحفريات هي "لحيتان تعود إلى عصور ما قبل التاريخ أي قبل عشرات الملايين من السنين، وتوضح تكيفها مع تغيرات المناخ من برمائية إلى كائنات بحرية، مقارنة بنظيرتها الأولى البرية في باكستان التي تعود إلى 60 مليون عام،" وفق خبير التراث والمحميات.

لذلك يمكن القول إن "وادي الحيتان يتمتع بأندر مجموعة من حفريات الحيتان في مكان واحد هو صحراء نحتتها عوامل التعرية وتغير المناخ بعد أن كانت بحرا بعمق 30 مترا حيث العثور على عدد كبير من الحيتان والكائنات البحرية التي كانت تعيش منذ 37.5 مليون عام بشكل متميز ومبهر."

هكذا يضيف سامح، الذي كان سابقا مدير عام المنطقة المركزية للمحميات الطبيعية بالفيوم التي عملت على هذا الوادي، ومدير نقطة الاتصال الوطنية لمواقع التراث الطبيعي العالمي باليونسكو.

إلى جانب ذلك، وفق ما يذكر خبير التراث الطبيعي، تتميز هذه الصحراء التي تحتضن وادي الحيتان بألوانها التي تتموج على مدار اليوم وسط انعكاسات أشعة الشمس نهارا، مع سماء تعد من أعتم الأماكن ظلمة في العالم ليلا.

وفي محيط المتحف المفتوح في وادي الحيتان الذي يضم 18 موقعا من عجائب الطبيعة في نحو 2 كم، يظهر متحف حقيقي شيد عام 2016، ويضم أكثر من 195 حفرية، وفق سامح.

هذا المتحف، بحسب الخبير، يعد الوحيد على مستوى العالم الذي ربط تغير المناخ بالحفريات، وشيد لها متحفاً، وكلاهما استطاع أن يقدم للعالم هذا التطور الذي لم يرصد بهذا الوضوح في أي مكان آخر بالعالم سوى وادي الحيتان.

ودعا سامح الجميع إلى زيارة وادي الحيتان والاستمتاع بأجوائه نهارا ونجومه ليلا، إذ تظهر تلك النجوم بشكل كبير وبديع وتجذب هواة الفلك والتخييم والسمر، مؤكدا أن المكان جدير بتكرار الزيارة له سنويا.

ويقول الخبير السياحي والأثري سيد الشورة إن "هذه المنطقة رافد سياحي هام في الفيوم، وادي الحيتان يكمل صورة السياحة المبهرة في المحافظة كمعلم بيئي تاريخي موجود منذ ملايين السنين بجانب السياحة التراثية الأثرية مثل قصر قارون أو محمية وادي الريان أو قرية تونس النموذجية."

ويعتبر الشورة أن رحلة وادي الحيتان "تحمل قدرا كبيرا من المتعة، فبخلاف التعرف على الحفريات وزيارة المتحف، هناك سياحة السفاري والمخيمات والتزلج على الرمل في تلك الصحراء."

ويلفت إلى أن الفيوم تشتهر بسياحة اليوم الواحد، لذلك تمكن زيارة وادي الحيتان وباقي المزارات لاسيما في الخريف، والخروج برحلة مبهجة.

ذلك الجمال الذي ترسمه تصريحات الخبيرين في تراث الطبيعة والسياحة، تجتمع فيه الجبال والرمال والمئات من بقايا الحفريات المختلفة والأصداف وهياكل الكائنات البحرية.

هذا إضافة إلى معلومات تشير إلى أنه يعد بيئة طبيعية لعدد من النباتات البرية والحيوانات المهددة بالانقراض مثل ثعلب الفنك والغزال الأبيض والطيور المهاجرة كصقر شاهين وصقر الغزال.

تخطو الأقدام في محيط المتحف المفتوح الذي يبهر الأعين بحفريات لحوت تعود إلى الملايين من السنين، وعمود فقري، وجماجم لنمر وهياكل عظمية لفقاريات نادرة.

بعد مسافة قصيرة تبرز لافتة تحمل اسم "متحف الحفريات وتغيرات المناخ" الذي يحتضن المزيد من هذه النماذج، وتستفيض معروضاته في ربط الماضي العتيق بتغيرات المناخ.

ويُعرض داخل المتحف حوت "الباسيلو سورس أيزيس"، وهو أضخم حوت حجري، ويظهر للمرة الأولى الأطراف الخلفية (الأرجل) للحوت والتي تشير إلى أنّ الحيتان كانت تعيش على اليابسة، وتطورت بمرور الزمن إلى كائنات تعيش في مياه البحار والمحيطات.

رواد الفضاء الصينيون يقيمون أول حفل شواء في المدار

بكين - في خطوة غير مسبوقة في تاريخ الرحلات الفضائية، أقام رواد الفضاء الصينيون أول "حفل شواء" على متن محطة الفضاء الصينية "تيانغونغ"، مستخدمين فرن الهواء الساخن الذي تم تركيبه حديثًا داخل المحطة.

وبحسب وكالة شينخوا ظهر أفراد طاقمي مهمتي "شنتشو – 20" و"شنتشو – 21" في مقطع فيديو وهم يشوون أجنحة دجاج متبّلة لمدة 28 دقيقة فقط، إلى جانب تحضير شرائح لحم بالفلفل الأسود، وسط أجواء احتفالية مرحة، رغم دوران المحطة حول الأرض بسرعة تقارب 28 ألف كيلومتر في الساعة.

وتُعد هذه التجربة الأولى من نوعها في "تيانغونغ"، بعد أن كانت محطة الفضاء الدولية قد اختبرت عام 2020 نموذجًا أوليًا لفرن فضائي، استغرق فيه خبز خمس قطع من البسكويت نحو 130 دقيقة، بسبب صعوبة توزيع الحرارة في بيئة منعدمة الجاذبية.

وقد نجح المهندسون الصينيون في تطوير نظام تسخين مبتكر يتيح شواء الطعام في أقل من نصف ساعة، مع نظام خاص لجمع أبخرة الطهي والحفاظ على جودة الهواء داخل المقصورة، ضمن برنامج وطني لتحسين ظروف معيشة الرواد وتوفير طعام طازج ومتنوّع خلال المهام الطويلة.

وقال الباحث ليو ويبو من مركز أبحاث وتدريب رواد الفضاء الصيني إن الهدف بسيط، وهو "أن يستمتع الرواد بالطعام الساخن حتى في الفضاء،" فيما وصف وانغ يانان، رئيس تحرير مجلة "إيروسبيس نولدج"، تصميم فرن آمن في بيئة منعدمة الجاذبية بأنه "تحدٍّ تقني بالغ التعقيد."

ومنذ مهمة "شنتشو – 16" يزرع الرواد سبعة أنواع من النباتات الطازجة، من بينها الخس والطماطم الكرزية والبطاطا الحلوة، لتوفير نحو 4.5 كيلوغرام من الخضروات ضمن قائمة طعام طاقم "شنتشو – 21"، التي تضم اليوم 190 صنفًا غذائيًا متنوعًا، بدءا من المكسرات والكعك وصولا إلى اللحوم والخضروات الطازجة.

المغربية نادية كوندا أفضل ممثلة في مهرجان بروكسل للفيلم

بروكسل - تألقت الممثلة المغربية نادية كوندا في الدورة العاشرة من مهرجان بروكسل الدولي للفيلم، حيث نالت جائزة أفضل ممثلة عن أدائها اللافت في فيلم "النمل" (لي فورمي) للمخرج ياسين فنان، مؤكدة مكانتها كواحدة من أبرز الوجوه النسائية في السينما المغاربية المعاصرة.

وجسّدت كوندا شخصية "فليسيتي"، مهاجرة كاميرونية تُصرّ على دفن صديقتها الراحلة بكرامة، في أداء اتسم بالصدق والعمق الإنساني، ما جعلها تحظى بإشادة لجنة التحكيم والجمهور على حدّ سواء. وقد شكّل هذا الدور نقطة تحول في مسيرتها، حيث مزجت بين الحساسية الفنية والالتزام الاجتماعي، لتُقدّم صورة مؤثرة عن الهجرة غير المرئية في قلب مدينة طنجة.

الفيلم، الذي أُنتج سنة 2025، اختير ضمن المسابقة الدولية للمهرجان من بين أكثر من 250 عملاً، وضم خمسة أفلام روائية طويلة فقط. ويُعد "النمل" أكثر فيلم مغربي مشاركة في المهرجانات الدولية لهذا العام، إذ سبق عرضه في دوربان، باريس، وبروكسل، ويواصل جولته قريبًا في لندن، نيويورك، نيروبي، وكنشاسا.

يمتد العمل على مدى 90 دقيقة، ويندرج ضمن تيار السينما الجديدة في شمال أفريقيا، التي تستكشف ديناميكيات الهجرة داخل القارة من خلال تقاطع مصائر ثلاث شخصيات: فليسيتي، حميد، وكنزة. ويُسلّط الفيلم الضوء على تعقيدات الهجرة، الطموح، والخلاص، في لوحة اجتماعية تتداخل فيها قضايا الفقر والأحلام وخيبات الأمل.

ويُعد مهرجان بروكسل الدولي للفيلم منصة سينمائية متنقلة بين العاصمة البلجيكية وعدد من المدن الأفريقية، تنظمه جمعية المهرجان بهدف تعزيز التبادل الثقافي بين أفريقيا وأوروبا، وتشجيع الإبداع السينمائي الجريء والمبتكر، مع إبراز الأصوات النسائية والقصص الإنسانية التي تتجاوز الحدود.

ونادية كوندا، بهذا التتويج، تعيد رسم ملامح السينما المغاربية، وتثبت أن الأداء الصادق قادر على اختراق الحواجز والوصول إلى وجدان المشاهد أينما كان.

صالون المجوهرات في الرياض لقاء البريق بالحرفية

الرياض - شهدت العاصمة الرياض الأربعاء انطلاق فعاليات معرض صالون المجوهرات 2025، ضمن برنامج موسم الرياض، وسط حضور لافت من عشاق الفخامة والابتكار، الذين توافدوا لاكتشاف أحدث التصاميم والقطع النادرة التي تجمع بين الأناقة والحرفية العالية.

ويُقام المعرض بأكثر من 600 علامة تجارية من 50 دولة، تمثل نخبة من المصممين وصنّاع الذهب والمجوهرات والأحجار الكريمة، إلى جانب مقتنيات فنية فريدة. وقدّمت العلامات المشاركة مجموعة من الإبداعات الجديدة، من بينها قطع تُعرض لأول مرة، وأحجار كريمة استثنائية تبرز جمال التفاصيل ودقة الصياغة، ما يجعل المعرض منصة مثالية للمهتمين بالتصميم الراقي والابتكار في عالم المجوهرات.

ويُعد صالون المجوهرات 2025 وجهة مميزة تجمع بين المصممين العالميين والموزعين في تجربة حسية متكاملة، تتيح للزوار التفاعل المباشر مع الإبداع، واكتشاف اتجاهات الموضة في هذا القطاع الفاخر.

ويستمر المعرض حتى 9 نوفمبر، مقدّمًا تجربة فريدة ضمن فعاليات موسم الرياض 2025، الذي يواصل ترسيخ مكانته كأحد أبرز المواسم الترفيهية عالميًا، من خلال فعاليات تجمع بين الفن والثقافة والتكنولوجيا، وتستقطب الزوار من مختلف أنحاء العالم.

ويشهد خلال أيامه المقبلة إطلاق مجموعات حصرية، وورش عمل تفاعلية، إلى جانب لقاءات مع نخبة من المصممين العالميين، مما يعزز من مكانة الرياض كعاصمة للذوق الرفيع والابتكار الفني.

صباح العرب

لطيف جابالله
صحافي تونسي

غنّت أنس بن سعيد، فقال الجمهور ولجنة التحكيم: «نعم»

حين غنّت الجنوبية أنس بن سعيد شذرات من التراث التونسي في برنامج "ذا فويس" النسخة العربية، نبّهت كل من سمعها إلى أن الأغنية التراثية كالعِرض لا تُنتهك؛ فهي نغمات رعاها أجدادنا مع الغنم في البوادي سنين طويلة، ونسجتها جدّاتنا من وراء النول في ليالي الشتاء الطويلة. قالت لهم في صوتها إن النغم التراثي كالفجر، حين يطل صادقًا، يُبهر ويوقظ كل المشاعر والأحاسيس. فأجابها الجمهور ولجنة التحكيم بـ"نعم" التي تُترجم في مثل هذا الحضور بـ"آه"، لتُذكّرهم أن الأغنيات التونسية حضرت في مثل هذه المحافل، وما زال جمهور التلفزيون العربي يذكر مهدي عياشي، الذي غازل حضور "ذا فويس" 2019 بأغنية "الليل الزاهي"، فأذهل وهو ينقر على "البندير".

لا تخشى الأغنية التراثية على نفسها، فهي تسكن في صدور عشّاقها كما تسكن القصائد في دفاتر العشّاق، رغم أنها تتنفس بصعوبة اليوم، في زمن دخل فيه "الأوتوتيون" إلى السهرات، وخرجت من مواكب الفرح الأصوات التي كانت تحفظ الأغاني كما تحفظ أمهاتنا وصفات الطبخ القديمة. حتى الأعراس، تلك التي كانت معاقل الطرب، صارت منصات للضجيج المُفلتر، حيث يُغنّى الحب وكأنه إعلان عن خصم موسمي.

صحيح، لم تعد الأغنية التراثية تُغنّى بصوتٍ يحمل الحنين، بل تصرخ في الميكروفون كأننا في نشرة إنذار مبكر. صار المغني يرتدي نظارات شمسية في الليل، لا ليحمي عينيه من الأضواء، بل ليحمي نفسه من رؤية ماض يجهر عينيه. يقف على المسرح كأنه في معركة، يلوّح بيده، ويُطلق العنان لصوتٍ يشبه صفارة إنذار، بينما الجمهور يصفّق لأنه لا يفهم، لكنه لا يريد أن يبدو غير عصري.

أما المغنون أو المغنيات، الذين كانوا يُطربون جمهورًا بأكمله بصوت عذب وكلمات تهزّ المشاعر، فهم الآن يجلسون في الزاوية، لا ينتظرون الميكروفون الذي خُطف باسم "التحديث". فأزياؤهم التقليدية صارت لا تليق بمنصة "الترند"، ويغنّون بصوتٍ لا يُفلتر، ولا يُعدّل، ولا تُركّب عليه مؤثرات صوتية تجعلهم يبدون كأنهم يغنّون من داخل كهف.

وهكذا، يتحوّل "التحديث" إلى عملية تجميل قاسية، تُقصي كل ما لا يلمع، وتُهمّش كل ما لا يُباع. فالتراث لا يُرفض لأنه لا يستحق، بل لأنه لا يُسوّق. والمغني التراثي لا يُقصى لأنه لا يُجيد، بل لأنه لا يُجذب.

ولأن التراث كالخميرة لا يستسلم، تقف الأغنية التراثية مع فنانين تسلّحوا بالموهبة والعلوم الموسيقية، مع عجوزهم، ينفضون عن أناقتها الغبار، خاصة وأنها عنيدة، ترفض أن تُغيّر ثوبها لتواكب موضة "هزّي يا ناري".

هؤلاء هم اليوم حُماة، وحُرّاس، وحفظة، ممن لا يبيعون المقامات في سوق المؤثرات الصوتية، ولا يستبدلون القصائد بأغانٍ من ثلاث كلمات تنتهي بـ"يا نار".

من بين هؤلاء، زهرة الأجنف، التي تُغنّي وكأنها تُعيد ترتيب التاريخ. لا تطلب من الزمن أن يعود إلى الوراء، بل ألاّ يُدفن الماضي تحت ركام "التحديث".

أما حُرّاسها، فمهدي عياشي، ذلك الصوت الذي يُجدد دون أن يُفرّط، يُغنّي باللهجة التونسية وكأنه يُعيد رسم خارطة الهوية وسط ضجيج التكنولوجيا. لا يُجامل السوق، بل يُخاطب الوجدان، ويُصدّر التراث خارج الحدود كرسالة فنية تحمي الذاكرة من التحريف.

ثم تأتي أنس بن سعيد، بلا فلاتر، كمن يُعيد ضبط الإيقاع. لا تُغنّي لتُرضي أجهزة الصوتيات، بل لتُوقظ الحنين. هي ليست فقط صوتًا جميلًا، بل وعدٌ بأن التراث سيبقى حيًا... طالما هناك من يُغنّيه بإخلاص.

وفي النهاية، فلتُرفع القبعة، لا للضجيج، بل لمن يُغنّي رغم الضجيج.